سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

تصدر من دمشق

سوريتنا | السنة الثانية | العدد (101) | 25 / 8 /2013

أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

مجزرة الكيماوي
غوطة دمشق - 21/8/2013

مجـــزرة الغوطـــة

نقص المعدات الطبية والأدوية فاقم من عدد الشهداء والمصابين

■ ملف الأخبار إعداد: زليخة سالم

نقص المشافي والمراكز الطبية المجهزّة جيداً في مدن وبلدات الغوطة الشرقية كانت سبباً رئيسياً في ارتفاع عدد الشهداء والمصابين نتيجة هجوم النظام بالأسلحة الكيميائية على الغوطتين الشرقية والغربية وريف دمشق وارتكابه مجزرة مروعة وغير مسبوقة راح ضحيتها أكثر من 1300 شهيد 67 ٪ منهم من الأطفال والنساء مرشحون للزيادة و9838 جريح ومصاب منهم 3041 إصابة شديدة حسب تقرير مركز توثيق الانتهاكات في سورية.

وأكد طاقم المركز الذي قام بزيارات ميدانية عاجلة بعد الهجمات مباشرة غطت نحو 80٪ من النقاط الطبية التي استقبلت المصابين والضحايا في الغوطة الشرقية أن "النقاط الطبية" المتواجدة هناك غير مزودة بالمعدات الطبية والأدوية اللازمة والكافية للتصدي لحالات القصف بالمواد الكيماوية، كالأقنعة الواقية وتفتقر إلى الكوادر الطبية والإسعافية الكافية وذات الخبرة للتصدي لمثل هكذا حالات، خاصة مع وفود آلاف الحالات الإسعافية إلى تلك النقاط.

وقال: أنه لم يسلم أحد من الكوادر الطبية والإسعافية من الإصابة بالمواد السامة، بسبب عدم وجود أقنعة أو بزات واقية أثناء قيامهم بعمليات الإخلاء والإسعاف، وأصيب في حمورية مثلاً ثمانية من أفراد الطاقم الطبي والإسعافي في نقطة الخولاني الطبية.

وأوضح أن عدد المشافي المجهزة كمشافي في بلدات الغوطة الشرقية، قليل جداً، واستحدثت جميع النقاط الطبية الأخرى كمشاف ميدانية في بداية الأمر ثم جرى تطوير عملها وإمكانياتها لتصبح نقاط طبية للإسعاف والاستشفاء، وجميع هذه النقاط تقريبا استحدثت في أماكن غير صحية، العامل الوحيد الذي أمكن مراعاته فيها هو أن تكون في منطقة آمنة نسبيا من القصف.

وأشار إلى أن معظم الأطفال الذين تعرضوا للمواد السامة لم تكتب لهم النجاة للأسف، فهم إما قتلوا في أسرتهم لحظة القصف وهم نيام، أو توفوا بعد وقت قصير من وصولهم للنقاط الطبية. فيما كانت المعاناة بالنسبة للنساء المصابات مضاعفة، نظرا لضيق الأماكن وعدم وجود ردهات خاصة تتيح خلع ثياب النساء قبل غسلهن من آثار المواد السامة.

ونقل الطاقم عن أحد المسعفين في النقطة الطبية بحمورية قوله: أثناء قيام فريقنا بالإسعاف من المنازل، كان المسعفون يضطرون لترك الشهداء في بيوتهم ويحضرون فقط الأحياء المصابين لكثرة الحالات وللتمكن من إنقاذ الناس.

أحد الإداريين من النقطة المذكورة نفسها قال: كان الطاقم الإسعافي يصاب بالوهن ويفقد القدرة على الاستمرار بعد جولتين من الإسعاف، بسبب عدم وجود أقنعة.. مما اضطررنا إلى استعمال كمامات عادية مصنوعة من القطن مضافا لها الخل الذي أعطانا إياه الأهالي في محاولة لتفادي الإصابة قدر الإمكان".

وأفاد أحد المسعفين من نقطة عربين الطبية أن العديد من المنازل يوجد فيها شهداء لم يتم نقلهم بعد.

ويقول أحد المصابين وهو "خالد البيك من عين ترما، والذي أسعف إلى نقطة طبية في حمورية: أن خمسة صواريخ سقطوا في عين ترما بحدود الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وتوجهنا إلى مكان سقوط الصواريخ وفوجئنا بوجود العشرات من المواطنين مرميين على الأرض وفي الشوارع، وذهبت لأبحث عن أخي واسمه علاء فوجدته مرمياً على الأرض وكانت هناك مادة بيضاء مثل "الزبد"

قد سالت من فمه، وحاولت إسعافه ثم فقدت الوعي ولا أعلم بعدها ماحدث ولا أعرف أين أخي وإن كان استشهد أم لا.

أحد الإداريين العاملين في نقطة الخولاني الطبية في حمورية قال لفريق المركز:

وصلت أولى الحالات المصابة بالغازات الكيماوية في الساعة الثانية ليلا وبلغت ذروتها بين الساعة الثالثة والسادسة صباحا، احضرنا صهاريج ماء وكنا نقوم بخلع ملابس المصابين وغسلهم بالصهاريج، وصلنا نحو 1000 مصاب، ولا يوجد لدينا في النقطة الطبية مادة (أتروبين) كافية للجميع، ولم يبق لدينا أكسجين على الإطلاق ولا يوجد كهرباء ولا مازوت لتشغيل المولدات، أصبحنا نعطي الإبر فقط للحالات الصعبة جدا أما البقية فنكتفي بغسلهم بالماء.

وأضاف: الأتروبين الذي كان متوفراً لدينا منتهي الصلاحية أصلا منذ شهرين لكننا استخدمناه، كما أحضر لنا أحد الأطباء البيطريين (أتروبين) معد للحيوانات قمنا باستخدامه بنسب قليلة جدا أيضاً للعلاج".

وذكر أحد الإداريين في نقطة "الإحسان" الطبية في حمورية أنه تم استحداث نقطة طبية في مدنية حمورية تابعة لنقطة الإحسان الطبية، بسبب العدد الهائل للمصابين، حيث تم استقبال 450 مصاباً، ضمنهم حوالي 200 طفل، و100 سيدة، لم يتم علاج عدد كبير منهم بالأتروبين وذلك لعدم توافره، وتم

نقل بعض المصابين إلى نقاط طبية أخرى بسبب الازدحام الشديد ونقص المواد والكوادر الطبية اللازمة لعلاجهم"

فريق المركز أنهى جولته في النقاط الطبية في كفربطنا الساعة السادسة والنصف مساء، حيث كان لا يزال يتدفق مصابون على النقطة الطبية

أحد الأطباء في نقطة طبية في عربين قال: الأعراض التي رأيناها هي لغاز يؤثر على الجهاز العصبي، أهمها الرمح العصبي النخاعي المنشأ والرأرأة والزلة التنفسية وتوقف التنفس والقلب، وكان الفارق الزمني بين القصف وبين بدء الأعراض نحو نصف دقيقة فقط، لذلك في العديد من الحالات لم يتمكن المصابون من التحرك أو الهرب وماتوا في مكانهم. لقد شاهدنا أعراض عصبية ذات منشأ دماغي.

أطباء بلا حدود: وفاة 355 مصاباً بالكيماوي في مشافي دمشق

وفي تقرير آخر لمنظمة أطباء بلا حدود ارتفع عدد شهداء مجزرة مروعة في الغوطتين الشرقية والغربية التي ارتكبها النظام السوري بالأسلحة الكيميائية بعد استشهاد 355 مصاباً في ثلاث مستشفيات في محافظة دمشق، تحظى بدعم المنظمة الإنسانية الطبية الدولية أطباء بلا حدود، من أصل 3600 مريض وصلوا إليها في أقل من ثلاث ساعات صبيحة يوم الأربعاء الماضي، وكانوا جميعاً تظهر عليهم أعراض التسمم العصبي.

وقال الدكتور بارت جانسنز، مدير عمليات منظمة أطباء بلا حدود: «لقد قدّم لنا الطاقم الطبي العامل في تلك المرافق معلومات مفصلة بخصوص تدفق أعداد كبيرة من المرضى على المرافق الصحية وهم يعانون من أعراض مثل التشنجات واللعاب الغزير وتقلص حدقات العين وتشوش الرؤية وضيق التنفس.

وقد عُولج المرضى بواسطة عقار «أتروبين» الذي يُستعمل في معالجة أعراض التسمم العصبي والذي كانت منظمة أطباء بلا حدود قد زودته إلى تلك المرافق الطبية. وتحاول المنظمة الآن إعادة ملء المستودعات الفارغة لهذه المرافق بهذا العقار، إلى جانب توفير إمدادات طبية أخرى وتقديم الإرشادات والنصائح.

وأضاف: «لا تستطيع منظمة أطباء بلا حدود من الناحية العلمية تأكيد مسببات هذه الأعراض أو تحديد الجهة المسؤولة عن الهجوم. غير أن الأعراض التي ظهرت على المرضى، إضافة إلى المسار المرضي للأحداث (والذي اتسم بتدفق كبير للمرضى في فترة قصيرة، والمكان الذي جاء منه المرضى، وانتقال العدوى إلى الطاقم الطبي والمسعفين الأوليين)، كلها وقائع تشير إلى تعرض جماعي لعنصر سُمّيّ مثير للأعصاب. ومن شأن تأكيد الأمر أن يشكل خرقاً للقانون الإنساني الدولي الذي يحظر حظراً باتاً استعمال الأسلحة الكيميائية والبيولوجية. «.

وأوضحت المنظمة أنها أرسلت 7 آلاف قنينة أتروبين إلى المرافق الصحية في المنطقة إضافة إلى 1600 قنينة كانت قد أرسلتها سابقاً خلال الشهور الأخيرة. وأن علاج المرضى المصابين بتسمم عصبي أصبح الآن جزءاً من الإستراتيجيات الطبية للمنظمة في جميع البرامج التي أطلقتها في سوريا.

وأعرب كريستوفر ستوريك، المدير العام لمنظمة أطباء بلا حدود عن أمله في أن يسمح للمحققين الوصول فورا إلى الأماكن المتضررة لإلقاء الضوء على ما حصل.

وقال: «لقد جاء الهجوم الأخير والاحتياجات الطبية الهائلة التي أعقبته ليزيد من تفاقم أوضاع إنسانية كانت في الأصل كارثية، تتسم بالعنف الشديد ونزوح السكان والتدمير المتعمد للمرافق الصحية. وفي وضع الانتهاك الكبير للقانون الإنساني، لاتستطيع المساعدات الإنسانية الاستجابة بشكل فعّال للاحتياجات وتصبح من دون معنى

منذ عام 2012، أنشأت منظمة أطباء بلا حدود شبكة تعاون قوية وموثوقة مع مجموعات الأطباء والمستشفيات والمراكز الطبية في محافظة دمشق، حيث تزودهم بالأدوية والمعدات الطبية والدعم التقني. ولكن، بسبب المخاطر الأمنية، لم يتمكن أفراد طاقم منظمة أطباء بلا حدود من الوصول إلى هذه المرافق الصحية.

أوجاع وطن

1472 شهيد فلسطيني سوري منذ بداية الثورة

امتزج الدم الفلسطيني والسوري ليروي تراب سوريا، حيث وثقت الهيئة الحقوقية «مجموعة العمل من أجل فلسطينيي سوريا» استشهاد 1472 فلسطينيا»منذ بدء الثورة السورية منتصف آذار 2011.

وقالت الهيئة التي تتخذ من لندن مقراً لها، في تقرير حول تطورات الأوضاع الأمنية في المخيمات الفلسطينية في سوريا نشر في غزة أن «مخيم اليرموك شهد سقوط عدد من القذائف على أماكن متفرقة منه دون أن تسفر عن وقوع إصابات، بالتزامن مع حدوث اشتباكات عنيفة بين مجموعات الجيش الحر والجيش النظامي»،

وأكدت أن «سكان مخيم اليرموك يعيشون أزمات خانقة بسبب استمرار الحصار الخانق والجائر الذي يفرضه الجيش النظامي منذ أكثر من ثلاثة أسابيع على التوالي مما ينذر بوقوع كارثة إنسانية».

وتعرضت عدة أحياء ومخيمات فلسطينية خاصة في دمشق وريفها، في الآونة الأخيرة، إلى قصف واشتباكات أسفرت عن سقوط عشرات الضحايا من اللاجئين الفلسطينيين، بينهم أطفال ونساء، في ظل أوضاع إنسانية سيئة، ونشوء حركة نزوح داخلية وخارجية.

وذكر التقرير أن «إحصائيات فلسطينية رصدت رحيل 60 ألف فلسطيني باتجاه لبنان هروباً من جحيم الحرب في سوريا، فيما يعاني أهالي مخيم خان الشيح من أزمات في الخبز والمواصلات وارتفاع أسعار المواد التموينية بشكل كبير».

وأدانت منظمة «هيومن رايتس ووتش» بدورها رفض السلطات اللبنانية السماح لمعظم الفلسطينيين الهاربين من النزاع داخل الأراضي السورية من دخول لبنان، مشيرة إلى أن السلطات اللبنانية بدأت في 6 آب الجاري 2013 بمنع الفلسطينيين القادمين من سوريا من دخول البلاد.

وحول «مخيم السبينة»، بين التقرير أن «الدمار يجتاح بعض منازل وحارات المخيم، إضافة لخلوه من قاطنيه الذين نزحوا عنه جراء القصف الشديد الذي تعرض له والسيارات المفخخة التي أدت إلى وقوع عدد من الضحايا والجرحى بين صفوف أبنائه، إضافة إلى الحصار الخانق الذي يفرضه الجيش النظامي على مداخل ومخارج المخيم منذ تشرين الثاني الماضي».

وجاء في التقرير أن «مخيم العائدين بحمص شهد خلال اليومين الماضيين موجة نزوح كبيرة إليه من حمص والمناطق المجاورة له جراء تدهور الأوضاع الأمنية لديهم، كما أن مخيم درعا لازال يتعرض للقصف وسقوط عدد من القذائف عليه ما جعل سكانه يعيشون في حالة من الرعب والقلق».

وحسب التقرير يشهد «مخيم خان دنون» هدوءاً نسبياً ويستقبل عدداً كبيراً من العائلات النازحة إليه من المخيمات الفلسطينية والمناطق المجاورة له، إلا أن سكانه يشتكون من تدهور أوضاعهم المعيشية وشح المواد الغذائية وغلاء الأسعار وعدم توفر المحروقات والدقيق واستمرار انقطاع التيار الكهربائي وضعف شبكة الاتصالات.

وأعلن المفوض العام لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (اونروا) فيليبو جراندي، مؤخراً، أن 7 مخيمات للاجئين الفلسطينيين في سورية من أصل 12 أصبحت مسرحاً للقتال، مشيراً إلى تعرض أكثر من نصف الفلسطينيين للتشرد.

يذكر أن «مجموعة العمل من أجل فلسطينيي سوريا» تشكلت في العاصمة البريطانية لندن في نهاية 2012 كإطار يضم شخصيات سياسية وإعلامية وقانونية ومؤسسات دولية لتكون واجهة لمتابعة أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في سوريا من الناحية السياسية والإنسانية والإعلامية والتوثيقية والقانونية في ظل الأحداث الحالية.

الأقمار الصناعية تظهر أن المستهدف من القصف الكيميائي هي مناطق سكنية

قالت منظمة هيومن رايتس ووتش أن صور الأقمار الصناعية بينت أن الأحياء المتضررة من الهجمات التي شنها النظام السوري يوم الأربعاء الماضي على غوطة دمشق وتسببت في مقتل مئات الأشخاص وإصابة مئات الآخرين بجروح هي في الغالب سكنية، بعض المستودعات والأسواق والمرافق التجارية الموجودة على المحيط المجاور للطرق السريعة الرئيسية.

وأضافت المنظمة في بيان لها يبدو أنه لا توجد منشآت كيميائية أو كهربائية أو صناعية في المنطقة، أو ما يُعتقد أنها قواعد عسكرية، وهو ما يبرز أن عدد الضحايا لم يكن ناتجًا عن ضرب مثل هذه المرافق بأسلحة تقليدية.

وتحدث عدد من الشهود في الغوطتين الشرقية والغربية على مشارف دمشق للمنظمة عن أعراض وطرق استعمال أسلحة تتطابق مع استخدام غازات الأعصاب الكيميائية أثناء الهجمات التي شنتها القوات الحكومية، وقال سبعة من السكان وطبيبين ممن قدموا الإسعافات الأولية، أنه يبدو أن مئات الأشخاص، من بينهم الكثير من الأطفال، قد تعرضوا إلى الاختناق في الهجمات التي بدأت في الساعات الأولى من يوم 21 آب.

وأكد طبيبان ممن عالجوا المصابين أن الأشخاص المتضررين ظهرت عليهم أعراض متشابهة، بما في ذلك الاختناق، وضيق التنفس، والتنفس غير المنتظم، وتشنج العضلات، والغثيان، وزبد في الفم، وسوائل تخرج من الأنف والعينين، والدوار، وعدم وضوح الرؤية، واحمرار العينين، وتسمّر الرموش، وهي أعراض تتسق مع كونها أعراض التسمم الناتج عن غازات الأعصاب

كما تحدث الطبيبان ومسعفان آخران عن نفاذ الأدوية لمعالجة الأشخاص الذين كانت عليهم هذه الأعراض، بما في ذلك أدوية الأتروبين، والأبينفرين، والهيدروكورتيزون، والديكساميثازون.

وأكدت المنظمة أن قتل المدنيين على نطاق واسع في حادث واحد يُثير مخاوف من ارتكاب جرائم خطيرة، وقال جو ستورك القائم بأعمال المدير التنفيذي لقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في هيومن رايتس ووتش: "لقد مات عدد كبير من الأشخاص في الغوطة، وتحدث الأطباء والشهود عن تفاصيل مروعة تبدو أنها هجومًا بالأسلحة الكيميائية، بينما تزعم الحكومة أنها لم تفعل ذلك، وإذا لم يكن لدى الحكومة السورية ما تخفيه، فيتعين عليها أن تسمح على الفور للمفتشين بزيارة المواقع التي يُزعم أنها شهدت هجمات كيميائية لأنه مازال من الممكن جمع أدلة فيها".

وقالت المنظمة: على الحكومة السورية أن تسمح لفريق الأمم المتحدة للتفتيش بالوصول إلى الغوطة الشرقية والغوطة الغربية للتأكد من استخدام الأسلحة الكيميائية من عدمه. كما يتعين على الحكومة السماح بوصول لجنة الأمم المتحدة المستقلة لتقصي الحقائق في سوريا، برئاسة باولو بنهيريو، والتعاون معها بشكل كامل لتحديد المسؤول عن تنفيذ الهجوم.

وينبغي على مجلس الأمن، بعد اجتماعه الطارئ حول سوريا، أن يطالب الحكومة السورية وقوات المعارضة بأن تسمح على الفور بوصول محققي الأمم المتحدة إلى المواقع المتضررة، وتقديم التعاون الكامل مع التحقيق الذي يقومون به.

وجددت هيومن رايتس ووتش دعوتها مجلس الأمن لإحالة الملف السوري إلى المحكمة الجنائية الدولية لضمان المحاسبة على جميع جرائم الحرب والجرائم ضدّ الإنسانية.

وجاء في البيان: رغم أن سوريا ليست من ضمن 189 بلدًا في اتفاقية 1993 بشأن حظر واستحداث وإنتاج وتخزين واستعمال الأسلحة الكيميائية، وتدميرها، إلا أن أي استخدام للأسلحة الكيميائية يُعتبر غير مقبول ويتعارض مع المعايير التي وضعتها اتفاقية الأسلحة الكيميائية. ولا يوجد أي مبرر على الإطلاق لاستخدام هذه الأسلحة المروعة من طرف أي جهة، في أي مكان، لتحقيق أي هدف.

وحدة تنسيق الدعم تخصص 692 ألف دولار لإنقاذ مصابي الغوطة

خصصت وحدة تنسيق الدعم مبلغ 142.100 مئة واثنان وأربعين ألف دولار أمريكي، تم تقسيمها على دفعات نقدية منها 80.000 ألف دولار أميركي لشراء مستلزمات وأدوية متوفرة في الداخل السوري، وتم شراء "بدلات وأقنعة واقية، أكياس دم، هيدرو كورتيزون، أتروبين، ديكساميتازون، براليدوكسيم، سيرومات، أجهزة إرذاذ، أمبو قياس كبير وصغير" بقيمة / 62.100 / دولار أميركي، لإرسالها إلى النقاط الطبية في الغوطتين، وجنوب دمشق.

كما تم تخصيص مبلغ / 550.000 / ألف دولارأميركي إضافي لتقديم الدعم الغذائي للمناطق المنكوبة، وتم تسليم / 275.000 / ألف دولار أميركي منها للمكاتب الإغاثية الموحدة في الغوطة الشرقية وفي جنوب دمشق، على أن يتم تسليم المبلغ المتبقي خلال اليومين القادمين.

وذكرت الوحدة في بيان صحفي أن الفريق الطبي في وحدة تنسيق الدعم قام بالتواصل مع المكاتب الطبية في غوطة دمشق بعد الضربة الكيماوية التي وجهها نظام الأسد للغوطتين الشرقية والغربية يوم الأربعاء الماضي وجرى تقييم سريع للاحتياجات العاجلة لإنقاذ المصابين.

وأوضح البيان "أن فريق وحدة تنسيق الدعم يعمل بشكل مستمر لتأدية واجبه في تقديم الدعم اللازم لكافة المناطق السورية وبكافة أشكاله. ولذلك تم إعطاء أولوية الاستجابة للضربة الكيماوية، وفي نفس الوقت تابعت الأقسام الأخرى عملها المعتاد".

مليون طفل سوري لاجيء في دول الجوار وثلاثون ألف لاجيء في شمال العراق

تجاوزت أعداد الأطفال السوريين اللاجئين إلى الدول المجاورة المليون، أكثر من 740 ألف طفل منهم دون سن الحادية عشرة.

وقال المدير التنفيذي لليونيسيف، أنتوني ليك: "أن وصول عدد الأطفال اللاجئين إلى المليون ليس مجرد رقم آخر، بل أن هؤلاء هم أطفال حقيقيون انتُزِعُوا من ديارهم، وربما من أسرهم، ويواجهون أهوالاً لا بد من إدراكها".

وأضاف: "علينا جميعاً أن نتقاسم هذه الحقيقة المخزية، لأننا في الوقت الذي نعمل فيه من أجل التخفيف من معاناة أولئك الذين تضرروا من هذه الأزمة، فقد فشل المجتمع الدولي في تحمل مسؤوليته تجاه هؤلاء الأطفال. علينا أن نتوقف وأن نسأل أنفسنا، بكل ما تمليه علينا ضمائرنا، كيف يمكننا الاستمرار في خذلان أطفال سوريا".

وقال المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، أنطونيو غوتيريس: "ليس هناك ما هو أكثر أهمية من نجاة جيل من الأبرياء ورفاههم، يفقد شباب سوريا منازلهم وأفراد عائلاتهم ومستقبلهم وحتى بعد أن يعبروا الحدود إلى بر الأمان، فإنهم يعانون من الصدمة والإحباط ويكونون بحاجة إلى ما يعيد لهم الأمل".

ويشكل الأطفال وفق المنظمتين نصف عدد اللاجئين. وقد وصل معظمهم إلى لبنان والأردن وتركيا والعراق ومصر. ويفر السوريون بشكل متزايد إلى شمال إفريقيا وأوروبا.

وقدرت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين واليونيسيف وجود أكثر من مليوني طفل تعرضوا للنزوح داخلياً في سوريا، واستشهاد سبعة آلاف طفل وفق المفوضية

ولا تعتبر الأضرار الجسدية والخوف والتوتر والصدمات النفسية التي تعرض لها الكثير من الأطفال سوى جزءاً من الأزمة الإنسانية. وسلطت المنظمتان في تقرير لهما الضوء على ما يتعرض له الأطفال اللاجئون من تهديدات تتعلق بعمالة الأطفال والزواج المبكر وإمكانية الاستغلال الجنسي والإتجار بالبشر، حيث عبر 3500 طفل إلى الأردن ولبنان والعراق بمفردهم منفصلين عن عائلاتهم.

وحشدت المفوضية واليونيسيف الدعم من أجل ملايين العائلات والأطفال المتضررين، وعملتا على تطعيم أكثر من 1.3 مليون طفل في تجمعات اللاجئين والمجتمعات المضيفة في البلدان المجاورة ضد الحصبة بدعم من اليونيسيف وشركائها. وقدمت مساعدات نفسية إلى ما يقرب من 167 ألف طفل لاجئ، ومكنتا أكثر من 118 ألف طفل من متابعة التعليم داخل المدارس الرسمية أو خارجها، ووفرتا إمدادات المياه لما يزيد عن 222 ألف شخص.

وقامت المفوضية وفق التقرير بتسجيل جميع الأطفال البالغ عددهم مليون طفل حيث منحتهم بطاقات شخصية. وتساعد الأطفال المولودين خارج أوطانهم في الحصول على شهادات ميلاد، الأمر الذي يحول دون أن يصبحوا من عديمي الجنسية، كما تعمل على أن تعيش جميع العائلات والأطفال اللاجئين في مأوى آمن.

وتقول المنظمتان أنه تم تمويل 38٪ فقط من خطة الاستجابة الإقليمية للاجئين السوريين، ولا يزال هناك المزيد من العمل الذي يجب القيام به، وتناشدان من أجل الحصول على مبلغ 3 مليارات دولار أمريكي للتصدي للاحتياجات الملحة للاجئين وذلك حتى شهر كانون الأول من العام الحالي.

وسبق أن طالبت الأمم المتحدة وشركاؤها بتوفير أكثر من 5 مليارات دولار أمريكي من أجل سد الاحتياجات الناجمة عن الأزمة السورية، إلى جانب المتطلبات الحيوية الخاصة بالتعليم والرعاية الصحية وغيرها من الخدمات الموجهة للأطفال، وغيرهم من أطفال المجتمعات المضيفة، وتخصيص المزيد من الموارد من أجل إعداد شبكات متينة لتحديد الأطفال اللاجئين المعرضين للخطر وتوفير الدعم لهم ولمجتمعاتهم المضيفة.

وتقول المنظمتان أن من يخفق في الوفاء بتلك الالتزامات بموجب القانون الإنساني الدولي يجب أن يتحمل المسؤولية كاملة عن أفعاله.

أما في شمال العراق فقد قارب أعداد اللاجئين السوريين الذين وصلوا في الأسبوع الماضي (30) ألفاً مرشحة للازدياد بسبب استمرار تدفق الآلاف ممن ينتظرون الدخول حسب المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

وقال دان ماك نورتون المتحدث باسم المفوضية، في مؤتمر صحفي: "مع عبور عشرات الآلاف من الأشخاص منذ الأسبوع الماضي، فإن هذا النزوح الجماعي الجديد من سوريا يُعد واحداً من أكبر عمليات النزوح التي شهدناها منذ بدء الأزمة السورية.

وأضاف: هناك بين ألفين وثلاثة آلاف شخص آخر، ينتظرون بالقرب من الجانب السوري من الحدود، ومن المتوقع أن يعبروا قريباً.

وذكرت المفوضية أن أكثر من 4.800 شخص دخلوا يوم الاثنين الماضي إلى منطقة الساهلة التي تقع على بعد 120 كيلومتراً شمال غرب الموصل. وقد قدم بعضهم من مدينة المالكية الواقعة في محافظة الحسكة السورية المجاورة، وأخبروا المفوضية بأنهم فروا جراء تعرضهم لقصف جوي ذاك الصباح. فيما جاء آخرون، كانوا قد وصلوا على مدار الأيام القليلة الماضية، من الغرب بما في ذلك عفرين وحلب، إضافة إلى الحسكة والقامشلي.

وقال ماك نورتون: "إلى جانب من أخبرونا عن فرارهم من التفجيرات الأخيرة، ذكر آخرون أنهم هربوا جراء القتال والتوتر القائم بين عدة فصائل على الأرض. كما أشاروا إلى انهيار الاقتصاد بسبب الحرب والصعاب المترتبة عليها فيما يتعلق برعاية عائلاتهم".

بدأ تدفق السوريين بعدما قامت السلطات التابعة لحكومة إقليم كردستان شمالي العراق بفتح الجسر العائم المؤقت في بشخابور شمال الساهلة بصورة مفاجئة، مما سمح لعدة مئات من الأشخاص بالتخييم في المنطقة منذ مطلع الأسبوع الماضي لدخول العراق.

وقامت الفرق التابعة للمفوضية والوكالات الشريكة بتشييد مأوى لتوفير الظلال. وتم توزيع المياه والطعام في نقاط العُبور. كما قامت المنظمة الدولية للهجرة وحكومة إقليم كردستان بتوفير حافلات وشاحنات لنقل آلاف الأشخاص من منطقة الحدود إلى ما هو أبعد داخل العراق.

وفي محافظة إربيل، باتجاه الشرق، أقامت المفوضية موقعاً مؤقتاً للعبور في كاورغوست يضم 1.100 خيمة وفرتها المفوضية، إلى جانب 200 خيمة قامت لجنة الإنقاذ الدولية بتجهيزها. ويؤوي موقع كاورغوست المؤقت، الواقع شمال مدينة إربيل في منطقة خبت، ما يتراوح بين 7 - 9 ألف سوري في الوقت الحالي.

وأرسلت المفوضية على مدار الأيام الماضية أكثر من 90 شاحنة محملة بالمعونات لوازم الإغاثة من إربيل تم توزيعها على اللاجئين ولا يزال بعض الأشخاص في كاورغوست دون خيام، بسبب حجم التدفق وسرعته، حيث يخيموا تحت الأغطية المشمعة أو في مأوى مؤقتة أخرى.

ويوم الاثنين الماضي سمحت السلطات للمفوضية بالدخول إلى أحد المخازن في باهراك، الذي يُستخدم الآن في إيواء 2، 500 سوري، وتم تحديد قطعة أرض في منطقة كوستابة بإربيل لإقامة موقع عبور آخر.

وأوضحت المفوضية أن هناك ما يقرب من 14 ألف شخص يعيشون لدى عائلات مضيفة، أو يخيمون في مساجد بمنطقة إربيل، إلى جانب من يقيمون في الخيام،

وباتجاه الجنوب الشرقي في السليمانية، يقيم 4 آلاف شخص بصورة مؤقتة في 11 مدرسة، وكما في إربيل، فإن هناك موقعاً مؤقتاً يجري إنشاؤه، وقد تم نقل ما يقرب من 3 آلاف شخص ممن وصلوا يوم الإثنين إلى السليمانية.

وأرسلت المفوضية 15 شاحنة مقطورة إلى شمال البلاد من مخازنها الإقليمية الرئيسية في عمّان، من المتوقع أن تصل هذا الأسبوع، وتشمل ما يزيد عن 3100 خيمة، ومستودعين جاهزين، وأوعية مياه. ويجري إعداد إمدادات إضافية في الوقت الراهن.

وتقوم المفوضية وشركاؤها، بالتعاون مع الحكومة الإقليمية الكردية، ببناء مخيم داراشاكران، الذي يُتوقع أن يكون جاهزاً لاستيعاب اللاجئين في غضون أسابيع.

الكيماوي.. تظهير لثقافة البقلاوة وتجسيد للقيمة الصفرية

■ إلياس س إلياس

ليكن واضحاً بأنني شخصياً وفي حضرة الموت الذي أحاط دمشق خنقاً لستُ بقادرٍ على التجرد.. ولستُ، وأنا أعيد صور أب عاجز يصرخ على رضيع: "قم يا أبي.. قل يا الله" إلا واحد من الملايين كاد القهر يتملكني. أنا كنت أدقق في الصور والأفلام والاحتقان يكاد يفجّر دماغي، صعقني شريط المقارنة، رغم أني أصدقكم القول كنتُ قلت لصديق دمشقي: سوف يضرب هذا السفاح ضربته الأخيرة ويقتل الآلاف بالكيميائي، ظاناً بأنه سيقهر الإرادة.

مقارنات تقفز أمامنا غصباً عنا

الشريط الذي أتحدث عنه، وقد كتبت بعضه فجر المذبحة حين قرأت فائق المير ينقل عن تقدم الثوار في جبهات الغوطة، ثم يقوم هذا الفاشي بضرب الغوطتين بالكيماوي.. كانت الساعة تشير إلى ما بعد الثانية فجراً بتوقيت دمشق.. لم أتوقع أن أسأل نفسي: - كم حلبجة مرّ على سوريا.. وكم دير ياسين، وكفر قاسم، وطنطورة، وصبرا، وشاتيلا، وتل زعتر؟!. كم محمد درة شاهدت سوريا؟! - ما الذي يدفع " بشراً" يتراقصون فرحاً وبالموسيقى الصاخبة على جثث أطفال تتلوى اختناقاً قبل أن يخرج الزبد فتسلم روحها للكيماوي ؟! ما الذي يدفع صفحات تؤيد سفاحاً لأن تخالف النفي الرّسمي واعتبار ما جرى في الغوطتين فبركةً ثم تحتفي به، رغم أنه فبركة، وتتسابق في تمنّي المزيد بمن فيهم من يعمل مع أسماء الأسد؟! بل ولتبرئة السفاح يكتبون ترهات عن"الإبر التي قتلت الأطفال" حين صارت فضيحتهم تزكم الأنوف، غير عارفين لا بمعنى السلاح الكيماوي ولا إبر الأتروبين التي كانت تحقن في الوريد للتخفيف من آثار السارين أو الغازات، التي رحبوا بها وطالبوا بالمزيد منها..

دُعيد صبرا وشاتيلا وخروج الصور لجثث الضحايا، وقبل أن تشكل لجنة تحقيق لتحديد مسؤولية شارون في المذبحة التي شارك بها مدلل حافظ أسد إيلي حبيقة، في سبتمبر 1982، خرج في تل أبيب عشرات الآلاف من اليهود يندون بالمذبحة، ويشعرون بصدمة صديقي الذي كان صباح المذبحة في منطقة ما في دمشق كان مصدوماً وتائهاً.. أخبرني في المساء عن الاحتفاليات التي أقامها البعض في حرم جامعة دمشق، أنت مضطر عندها للمقارنة، مضطر لأن تسأل نفسك: لم تتكرر الصورة العبثية بعد كل مذبحة؟! احتفاليات شبيحة بشار، مهما كانت الأدوات، من البدائية كالسواطير، والسكاكين، والحرق، إلى قصف الأفران، وأخيراً الكيماوي. وبعض هؤلاء يطالب بالجرثومي، غير عارفين معنى أن يقتل شعب بالكيماوي والجرثومي الذي سيطالهم حتى أنفسهم، هم والمتفرجون والذين يظنون أنهم بعيدون عن أن يجري ذبحهم وخنقهم وتشويه الأجيال القادمة..

ثقافة البقلاوة هي نفس " ثقافة المعارضة الشريفة"!

قد يبدو من العبث أن نسأل: طالما أن "الأرهابيين" هم الذين فعلوها، بعد أن كانت مجرد فبركات في أكبر "مسرحية جماعية" يشارك فيها الآلاف بمن فيهم الرضع، وبعد ارتباك الرّواية عن " قصف مخزن كيماوي لجبهة النصرة" ثم "صاروخ انفجر فسقط عليهم وهم يطلقونه"، فلماذا كان كل هذا الفرح وتلك الشماتة؟! من يعرف، أو يطّلع عبر الأقمار على الجغرافية التي كانت مسرح الجريمة، لا بد أنه يعرف بأن صاروخًا " سقط بفعل الإرهابيين" لا يمكنه أن يقتل في الغوطة الشرقية، وينتقل في ذات الوقت إلى الغوطة الغربية، تاركاً المسافة الجغرافية الفاصلة بين المنطقتين بدون أن تتأثر. من المؤسف أن نضيع وقتنا ونحن نحاول مناقشة عقل ارتضى لنفسه أن يكون عقلاً قطيعيًا. وفوق هذا وذاك، هل يعتبر المحتفون بالكيماوي هؤلاء السوريون الذين قتلوا بالمئات سوريين من الدرجة العاشرة؟! يبدو لي أنهم غير آبهين بآدمية هؤلاء، وهذه كارثة اجتماعية ووطنية في دنيا العرب، أن توزع البقلاوة على تطبيق شعار " سوريا أنحف.. سوريا أحلى" مع شعار "الأسد أو نحرق البلد" ثقافة البقلاوة ثقافة تعبر عن أزمة حقيقية بغض النظر عمن يمارسها بعد تبنيها، فهي تدل على مستويات منحطة وصل إليها الضمير وإنسانية العربي والسوري..

لقد تمكن النظام الانقلابي البعثي بقيادة الأسد الأب من خلق بيئة مشوهة تماماً، كشفت الثورة خلال عامين ونصف بأن التشويه فيها مثل الثقب الأسود. بعد مذبحة بانياس والبيضة كانت خولة دنيا تحلم بخروج الناس ولو تنديداً، فتبين أن لا حلمها ولا حلمنا جميعا نحن العرب يتحقق بل ازدادت كوابيسه بجديدة الفضل، والتفاخر بالمذبحة صعوداً يشير إلى أن الفاشية والشعبوية تنتشر لتصل أعلى مستوياتها..

معارضة تبرر مذبحة الكيماوي!! أي شرف في معارضة "شريفة"؟! ومثلما يصدمك مشهد تلك الطفلة "المفبرك" في عقل عمران الزعبي وشريف شحادة، التي تعيش الصدمة وترفض الاعتراف بأن " الميتة " هي والدتها في هلوسة الكيماوي والإنكار.. فبالتأكيد صدمني شخصيا أن أستمع إلى حسن عبد العظيم، على قناة اورينت صبيحة، المذبحة 8 / 21 وهو وبكل صفاقة يردد جملة: "ندين العنف من الطرفين"!

هل حسن عبد العظيم كان يتحدث باسم أحزاب هيئة التنسيق؟! وكيف يقبل على أنفسهم هؤلاء أن يتحدث شخص باسمهم وكأن الذي حدث ويحدث مجرد "عنف"؟! هناك بالطبع أزمة تشمل كل المستويات الأخلاقية، والوطنية، حين يدين هؤلاء معركة الساحل وبالقرب منهم تجري مذبحة بالسلاح الكيماوي يدان فيها "العنف من الطرفين".. ما أسس له هذا التيار المسمى معارضة شريفة، وبعضها يشارك سفاح سوريا "برلمانه وحكومته" بوزراء، وبعضهم يخرج علينا، مثل: لؤي حسين، ببيان مائع لا علاقة له بحجم الفاجعة.. ثم بعد يومين من المذبحة يظهر منذر خدام ليقدم رواية أسخف من روايات تبرير مذبحة باروخ غولدشتاين بادعاء أنه مثلاً غولدشتاين دخل المسجد الابراهيمي في الخليل، وانتحر الفلسطينيون في المسجد، وقتلوه ليحرجوا دولة الاحتلال.. راجعوا جيداً ما كتبه منذر خدام يوم الجمعة..

إن هكذا "شرف" لمعارضة، من المفترض أنها تعارض نظامًا وحشيًا لم يوفر سياسيًا، ولا مثقفا من القتل، والاعتقال في محاولاته اليائسة لاستدعاء المزيد من صورة واحدة، هي صورة " العنف"، لهو شرف مطعون به وبما يحمله من بقايا ضمير وأخلاق وإنسانية. فعبد العزيز الخير ما ظننت أن يقبل " هذا الشرف" في ثقافة تبرئة القاتل، واتهام الناس بأنها قتلت أولادها والأزواج والأقارب، في مناطق جغرافية يفصل بينها كيلومترات، وبوقت متزامن فقط لإحراج النظام! أو لأنها فاشلة في استخدام السلاح الكيماوي..

أخطر ما يقوم به هؤلاء الذين يمثلهم هيثم مناع، وحسن عبد العظيم، من أحزاب وقوى، هو في أنهم يفشلون المرة تلو المرة في إثبات أنهم يمثلون بدائل عن " التطرف"، الذي أبدع حافظ ومن بعده وريثه في خلقه، وتصنيعه، والتحالف معه رغم ادعاءات العلمانية والقومية.. تبرير المواقف اللاأخلاقية القائمة على أساس التناقض مع الإسلاميين، لا يمنح هؤلاء أي رصيد في شارع. لم يتوقف نظام العصابة ولا ليوم واحد لوقف قتلهم بأبشع الصور، والحط من كرامتهم، وقيمتهم، من يريد أن يكون بديلاً عن خصم " إسلامي" لا يقف مكتوفاً ومزدرياً لعقول المفجوعين، لا تكون برامجه السياسية رهينة الفجور في الخصومة، بحيث يجري تحميل الضحية مسؤولية مقتلها، بحجة أن " العنف مدان من الطرفين".. فالناس حين خرجت بثورة سلمية لم يقرأها بعض هؤلاء ولم يعترف بها، بل انساق وراء روايات اخترعها نظام العصابة، ووجد فيها استئناساً مطمئناً، وهم يعرفون بأن هذه العصابة خبيرة في استدعاء التطرف، واستدعاء شيطنة أناس كانوا بسطاء في مطالبهم.. فهل كان قدري جميل، وعلي حيدر، ونبيل فياض، وكل الأسماء التي تعرفون، يعترف بأن ما يجري في حوران بداية هو حراك شعبي؟! أم أنهم رددوا طيلة عامين مسألة " المؤامرة الكونية"؟!

فمن أسس لثقافة البقلاوة هو الذي صمت على جرف جثث الناس في ساحة الساعة في حمص في إبريل 2011، وهو الذي اتهم من على قنوات إيران وتوابعها اللبنانية بعد أيام من اندلاع الثورة السلمية بأن السلاح عُرض عليه ٣ مرات، ولا أدري حتى يومنا هذا الصفة التي على أساسها تم عرض السلاح عليه؟! ومن هي تلك الجهات، إذا كان هو بنفسه لا علاقة له بالدول التي أعلنت صراحة أنه من حق السوريين الدفاع عن أنفسهم، والحصول على السلاح.. بعد سلسلة من المبادرات السياسية الفاشلة.. أي في عام 2012.. تلك الثقافة أسس لها من كان يزدري (وهو يدعي بأنه معارض بلاءات ثلاث) حتى قصص الناس عن الاغتصاب الممنهج. لقد كشفت لنا مذبحة الكيماوي في الغوطتين، الشرقية والغربية، عن ذلك النوع من المعارضة، التي تفشل مرة إثر مرة في إثبات أنها حقا معارضة للنظام، وليس للثورة، وشخصيات معينة في الثورة، كسخافة أن ميشيل كيلو " عميل أميركي"، ومثله ياسين الحاج صالح. أما " الوطنية" فقمتها هي بتدمير بالدبابات، والصواريخ، والطائرات مدن سوريا، وتلقيه الصفعة تلو الصفعة من الإسرائيليين وهو يتوعد فيرد بقتل وتدمير حياة السوريين.

كان على هؤلاء الذين يعرفون حق المعرفة من هم أهل الريف الدمشقي (كما بقية الأرياف السورية)، الذين حرقت محاصيلهم الزراعية، وتنصب الصواريخ لدكهم من جبال قاسيون، ومن فوق العمارات في جنوب العاصمة، وأصوات وشهب النار تمر فوق رؤوس، هكذا معارضة أن يدركوا خطورة التراكم الذي أدى إلى مشهد مدمر حتى لشعار رفعوه عن نبذ الطائفية وهم يعرفون تمام المعرفة من الذي استدعى هذه الطائفية، ويشتغل عليها منذ تصريحات بثينة شعبان، بعد أيام فقط من ثورة السوريين الذين أشعلوها من كل المكونات السورية.. مكمن الخطورة، وقد نقل لي أصدقاء من دمشق مشاهد الأهانة التي تتكرر كلما كانت مذبحة، هذه المرة بالكيماوي.. وما كان يمكن

أيضاً هذه المرة أن تفهم كإنسان كيف تم تصنيع هذه الوحشية واللاآدمية في دواخل سوريين كثر.. موسيقى صاخبة في منطقة البرامكة وفي حديقة " جامعة دمشق العريقة".. تحتفي نخب المستقبل (هكذا تنظر الشعوب لجامعاتها) بقتل أطفال ونساء، موسيقى صاخبة وسيارات ترفع السلاح، والصوت مهينة ربما دمشقيين لهم في الغوطة أقارب.. فليكن ليس أقارب.. هم مواطنيهم أخوتهم في الوطن.. بل بشر إخوتهم في الإنسانية.. كيف توزع البقلاوة في المزة وحديقة تشرين قرب مقر الإذاعة والتلفزيون السوري احتفاءاً؟!

تلك " المعارضة الشريفة" لم تشغلها المناظر المقززة، ولا التعليقات الفاشية، التي تطلب المزيد من الكيماوي، ولم تشغلها كثيراً الأسئلة المتعلقة بثقافة الاحتفاء برؤية جثث أطفال الغوطة: فإذا كان لا علاقة " للجيش الوطني والدكتور بشار" بما جرى، فعلى أي أساس انتشرت نشوة الاحتفاء والتعليقات التي تبارك صواريخ الكيماوي؟!

من يريد أن يكون بديلاً عن "التطرف" عليه أن يطرح على نفسه ألف سؤال عمن يستدعي ثقافة التطرف، وقد ترك السوريين يواجهون لأكثر من عامين ونصف العام كل أنواع القتل والتدمير.. أبجديات معرفة أساليب الطغاة مختزلة في مقولة: الطغاة يجلبون الغزاة! ومثلها أبجديات النظام العائلي المافيوي المستدعي منذ البداية لخطاب فتنوي طائفي، سيجر بالتأكيد ثقافة مضادة ترد على ما جرى في إبريل 2011 في قرية البيضة بريف بانياس، حيث بلع هؤلاء كذبة الساعات الأولى عن الفضيحة الصدمة، بأن تلك المنطقة ليست سوى في العراق، والمنفذون بيشمركة، ومارينز وفدائيو صدام.. خلطة شارك فيها أساتذة جامعات على الإعلام الأسدي، وتم الاستعانة بعراقيً للتأكيد على رواية كاذبة، سرعان ما انكشفت وتداعت أمام حقيقة واحدة؛ بأن الأنظمة الفاشية لا تجيد سوى الكذب وإيهام الناس. ومن الأبجديات أن نبذ الطائفية كان يستدعي من " المعارضة الشريفة" أن تتساءل عن الأشرطة المسربة، والتي يجري فيها التنكيل والإعدام، والقتل الميداني بالتعذيب البشع، وإشاعة شعار " الأسد أو لا أحد" وتوريط مكونات محددة في المجتمع السوري بحجة حمايتها، باستدعاء منظم ومتفق عليه بين دول، وليس عشوائي لمرتزقة حكام في إيران، وحزب مشارك في حكومة لبنان، وبتحريض برلماني طائفي في العراق، لجلب ما صار معلوماً اليوم في دمشق وغيرها، لمجموعات " دولة القانون" بزعامة حزب الدعوة الذي هو بالتأكيد ليس حزباً علمانياً..

بكل بساطة أجرت هذه المعارضة " الشريفة" تركيزاً محدداً على مجموعات إسلامية قادمة من الخارج، متناسية تماماً بأن الشكل العشوائي غير الشكل المنظم المصور لثورة السوريين، وكأنها ليست للسوريين. فصفة " التكفيريين" التي ألصقت منذ البداية بثورة شعب أعزل يقبل على نفسه أن يتم رشوته ببضعة ليرات، وبعض حبوب الهلوسة، هي التي أسست لترداد أكاذيب أن بشار " لم يصدر أي قرار لاستهداف المدنيين"، وبالتالي صار تدمير صواريخ السكود أمر "خيالي" غير موجود، ينفيه ويشكك به من اعزاز شمالاً، حتى حوران جنوباً. أمثال هؤلاء الذين يقولون: نحن ضد العنف من الطرفين.. إن عملية التدرج من البراميل المتفجرة، إلى الكيماوي بجرعات مخففة، إلى مجزرة الغوطتين، والتهديد العلني بقصف مخيم اليرموك بالكيماوي، ومن على صفحات مؤيدي بشار، ما كان يمكن لها أن تمر لولا انتشار ثقافة " الشرف" في حلقات حوارية سخيفة على القنوات الأسدية، وشيطنة مناطق معينة في سوريا، وبوجود ما يسمى " معارضين" يحاورون شبيحة متعددي المواهب، ومذيعة تكاد تصفع فاتح جاموس، في تلك الندوة الشهيرة التي أرادت سكب المزيد من مساحيق " الحوار الوطني تحت سقف الوطن، أي سقف الطاغية" لم يستدعي حتى يومنا هذا ولا مراجعة واحدة لحزب من أحزاب " المعارضة الشريفة" التي ستتهم لاحقًا كل المجتمع السوري بأنه متخلف حين يعاقبها بعدم التصويت لها.. ففي سوريا لن يكون استنساخٌ لسيسيٍ يجلب للمهزوم انقلاب عسكري..

* الخطوط الحمراء.. لقد انهارت تماماً بعد كيماوي الغوطتين، المراهنة على أية إمكانية لأن يكون ليس لبشار فحسب، بل لكل أركان العصابة مهرب من المحاسبة بأيدي السوريين أنفسهم، ومن يظن بأن العدالة لن يكون لها مكان في سوريا بسبب وجود متسلقين وانتهازيين في الثورة، ينشغلون في فرض ايديولوجيتهم ورؤيتهم لشكل ومستقبل الدولة السورية فهو واهم تماماً.. في ذات الوقت يعيش وهمًا كبيراً من يستند على "الخطوط الحمراء" لأوباما. قلناها ونكررها من سيحسم الأمور في سوريا هم السوريون أنفسهم، الثائرون بدون كلل وبدون رعب من المذابح، بل بإصرار ليس غريباً بعد كل مذبحة.. نعم كلما اقتربت الثورة من تحقيق تحطيم النظام الفاشي، وكلما أدركت الدول بأن لا شيء سيردع الثورة عن إنجاز أهدافها؛ ستتسابق تلك الدول والمجموعات نحو تصدر المشهد، بعد سلبية لم يشهد لها تاريخ البشرية حتى في مسائل الكوارث الطبيعية، ومنهم عرب يتفرجون على مذبحة السوريين منذ أكثر من عامين، ويرددون تفاهات المبادرات التي ظل الأخضر الابراهيمي حتى يومنا هذا ملتبس المهمة، وملتبسًا حتى فيما يقوم به غير تصريح كل شهرين، لتوكيد أنه على قيد الحياة وهو الذي بشر السوريين بمائة ألف ضحية جديدة..

الآن تتسارع الخطوات بعد فك الشيفرة الإسرائيلية، ليس حبًا بالشعب السوري ولا بسبب أكاذيب أن إسرائيل تقود " المؤامرة المونية" بينما هي تخردق سماء وأراضي الدولة، التي تقودها عصابات بشار بدون حتى رد إعلامي مع الخروقات اليومية بطائرات بلا طيار، تغطي سموات سوريا يوميًا وبجبن يختبئ أشاوس بشار في جحورهم مع كل قصف تتعرض له مواقعهم، بدون حتى إشارة لما يتعرضون له لزوم الممانعة..

بعد مذبحة الغوطتين لن تكون الأمور كما كانت، فالفاشية الأسدية وصلت أوجها وحماقات البعض بالسؤال عن " مصلحة النظام في القصف بينما لجنة التحقيق موجودة في دمشق" ينسى ما حدث أيام المراقبين العرب والدوليين، بل ينسى بالأصل بأننا أمام عصابة لم يعد للمنطق، ولا للعقل مكان في تصرفاتها، بل عنجهية القوة بحق البشر النائمين في بيوتهم، ظنًا منها بأن المشهد سيرعب الناس، ويجعلها تتخلى عن هدفها، وعن الثائرين الذين أجبروا على رفع السلاح. ولا أعرف ما هي بدائل من يثيرون: إن توجه الثورة نحو السلاح أنهى الثورة.. فهل كان هؤلاء يشاهدون مثلاً ما كان يجري في حرستا ودوما وزملكا والغوطتين الشرقية والغربية، حين كانت تخرج مع حماة ودرعا وحمص بمظاهرات وأهازيج؟! هل كانت تلك القوى ترى مثلاً أن داريا غياث مطر واجهتها العصابة بخراطيم المياه، أم شيطنة وقتل خارج القانون، وإعدامات يندى لها الجبين الإنساني والوطني قبل الإنساني.

كلما اقتربت الثورة من تحقيق أهدافها وإظهار العصابة في حالة انهيار، كلما سنشاهد المزيد من المتسلقين والانتهازيين محلياً ودولياً.. وبالرغم من الوجع الكبير، الذي يسببه مشهد الأطفال، وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة أمام ناظر أهاليهم، والأطباء الذين يقفون عاجزين تمامًا وهو العجز الذي لن يفهمه أحد غير الذين يعايشونه.

في النهاية، فكما قتل هذا الفاشي بالكيماوي أطفال ونساء الغوطة؛ لا استبعاد لأن يقوم أفراد العصابة بضرب مناطق مؤيدة له، ليثبت نظرية بشار الجعفري بأن الكيماوي والنووي هذه الأيام يمكن صناعته في غرفة صغيرة، هكذا وبكل بساطة يقول بشار الجعفري: لو ثبت استخدام الكيماوي من النظام سأستقيل.. ليعود ويؤكد براءة نظام العصابة من أي استخدام للكيماوي. نحن في المشاهد النهائية لقصة طويلة من كابوس الأكاذيب المتحولة، إلى مطالب الآن لقصف جرثومي من أتباع بشار. وأشك بأن هؤلاء يعرفون ما هو الجرثومي وتأثيراته على كل الشعب السوري، وحتى كل شعوب المنطقة لأجل تطبيق شعار " الأسد أو لا أحد"..

من يصمت اليوم على تطبيق الفاشية بأقذر الأساليب، سيندم غداً إذ تركزت مخاوفه على التطرف الذي يتم استدعاؤه بمثل هذا العبث الذي يصل حد الاجرام بحق المجتمع السوري ووحدته في سبيل تثبيت حكم عصابة مافيوزية، ولو على جزء من الوطن السوري.. وصول الأمر إلى اعتبار قيمة الانسان السوري إلى ما دون الصفر سوف يدفع بالمزيد من الناس ليس فقط للإصرار على إنهاء هكذا عصابة، بل أية عصابة تحاول فرض عصابة أخرى غصباً عن السوريين وحريتهم وإرادتهم.. يبقى الكثير من الفرص لأن يراجع البعض موقفه، وهو يدعي حرصه على سوريا. فقصة " الأبدية" انتهت بالرغم من ثقافة البقلاوة المنتشرة اليوم، حتى في جعب ما يسمى النخب تحت مظلة " الشرفاء"..

سوريا أكبر من الكيماوي.. وأكبر من أن يتحكم بها عصابة أو عصابات، والأيام حبلى بالمفاجئات التي نتمنى أن لا تكون فيها الانهيارات المجتمعية والقيمية في سبيل شخص صار يُنظر إليه حتى من حلفائه وداعميه..

ما موقع الأقباط من الثورة المصرية ولماذا يدفعون ثمنها

■ ياسر مرزوق

خالد سعيد ومينا دانيال.. قمر الثورة المصرية وشمسها | عن صفحة كلنا خالد سعيد

بعيداً عن التقييم والمسميات لما يحصل في مصر ولها، نجد أنفسنا أمام خطر إحباط للحرية التي تنتظر من يضعها مجدداً على أجندته مصحوبة بحل المسألة الوطنية، أي بحسم الأولوية للدولة الأمة من ضمن تركيبة تعددية، وإرساء لفكرة الوطن والمواطنة، وفي الطريق للحرية وفي الصراع المشتعل أخيراً بين الإخوان ومؤيديهم، وبين المؤسسة العسكرية ومؤيديها، يبدو من الغريب واللامعقول استهداف الكنائس والمصالح القبطية، تزامناً مع أي خلل أمني في البلاد. يترافق ذلك مع تمييع للتحقيق وفتح المجال للاتهام السياسي وبالتالي ضياع الحقيقة.

قالت صحيفة التايمز، إن الحكومات الغربية التي تريد أن يحل السلم والاستقرار في مصر، عليها أن تولي الأقباط اهتماماً خاصاً، وتدافع عن حقوقهم. وتحدثت الصحيفة البريطانية، في تقرير لها، عن الاعتداءات المتواصلة على الأقباط منذ إبعاد الرئيس محمد مرسي عن منصبه، محذرة بأن الأقباط مهددون في مصر، وهم جزء لا يتجزأ من تاريخ البلاد وهويتها.

وتشير إلى أن تصاعد الاحتجاجات على عزل مرسي من الرئاسة وضع المسيحيين الأقباط في مصر هدفاً للمتشددين الإسلاميين الذين نفذوا اعتداءات عليهم في عدد من المناطق، خاصة سيناء، حيث يعتبرونهم مساندين لعملية الإطاحة بالرئيس الإخواني.

وتتابع الصحيفة، أن الأقباط أقلية عددية مهمة، فإنهم يمثلون أكبر مجموعة غير مسلمة في البلاد، لكنهم طالما تعرضوا على فترات إلى اعتداءات عنيفة. وتختتم بالقول، أن وجود الأقباط في مصر الحديثة يعتمد على التعددية والتسامح، والتهديدات التي يتعرضون لها ليست تهديداً لهم فحسب، فالدفاع عنهم هو دفاع عن مصر كلها وعن الشرق الأوسط.

في مقدمة أحد الكتب التي صدرت عام 1980 بعنوان "مشكلات الأقليات في الوطن العربي"، يشير الكاتبان د. جلال يحيى، د. محمد نصر مهنا، إلى ندرة المواد التي تعالج هذه القضية بالقول: " وحتى الآن لم يجرؤ كاتب عربي على التعرض لمشكلة الأقليات في الوطن العربي، خوفاً من إثارة العواطف، والمساس بالنعرات، واستمرارا لدفن الرؤوس في الرمال، رغم ارتفاع الأصوات في مجالات أخرى ".

ملفنا اليوم للبحث في واقع أقباط مصر الذين دفعوا ويدفعون تاريخياً ثمناً لحريتهم، فقد جاءت المسيحية إلى مصر مبكراً حملها معه القديس " مرقس "، أحد حواريي المسيح الذي تقول مصادر التاريخ أنه هو نفسه كان مصرياً من الصحراء الغربية، وطبقاً للروايات التاريخية فإن القديس مرقس وصل إلى مصر حاملاً تعاليم المسيح بعد سنوات قليلة من صلب معلمه، وكتب الإنجيل الذي يحمل اسمه حينما جاء مصر بصحبة بطرس الشهيد، مصر التي تتيه على العالم بأنها كانت الملجأ الذي اختارته العائلة المقدسة هربا من اضطهاد هيرود.

وقد واجه الأقباط موجة بعد موجة من الاضطهاد في العصر الروماني، خصوصاً تحت حكم " ديسيوس " و" فاليريان " و" ديوكليتيان " في القرن الثالث وبداية القرن الرابع ميلادي، حتى أصدر الامبراطور " قسطنطين " مرسوم التسامح الديني عام 313، إلا أن هذا المرسوم لم يرفع الاضطهاد عن الكنيسة القبطية التي احتضنت فكرة الوطنية المصرية المتميزة والمستقلة، وكان بطرك الاسكندرية يقف على قدم المساواة مع بطاركة القدس وأنطاكيا وروما ولعل أشهرهم الأنبا " اثناسيوس " الذي رفض هيمنة القيصر ورفض دفع الضرائب لروما، وبقي متنقلاً هارباً من الموت في صعيد مصر ليصبح رمزاً لمقاومة المصريين لغير المصريين، وتأكيداً لرفض مصر أن يملي عليها أحد من خارجها آراءه وعقائده.

وفي عام 451 وفي مجمع خلقدونيا الكنسي تم حرمان البطريرك القبطي " ديوسكورس" نتيجة لتمسك الكنيسة المصرية بفكرها الأصيل، وإصرارها على الطبيعة الواحدة للمسيح، في حين كان الكم الأكبر من الكنائس واقعة تحت تأثير روما، وبقي الأقباط على مواقفهم الوطنية أثناء الغزو الفارسي لمصر وعودة الرومان إليها.

نشرت مقالة في جريدة الأهرام في 17 / 1 / 2001 للكاتبة المصرية د. نعمات أحمد فؤاد تحت عنوان مصر موئل الأديان: لقد مصرت مصر المسيحية، حتى غدت فيها دون غيرها قبطية

ويقول الأستاذ محمد فريد أبو حديد في مقدمة كتاب فتح العرب لمصر تأليف د. الفريد بتلرص19: كانت مصر أمة واحدة يحكمها الروم، واحتفظت بقوميتها وحاطتها بمذهب ديني مستقل حافظت عليه أشد المحافظة..

الأقباط والفتح العربي:

يقول الكاتب أحمد عبد المعطى حجازي في جريدة اليوم السابع بتاريخ 17 / 10 / 2008:

"والقبط إذن هم المصريون جميعاً، لكن ارتباط الكلمة بمصر المسيحية حصر دلالتها في الأقباط الذين ظلوا على دينهم الأول، وباعد بينها وبين الأقباط الذين اعتنقوا الإسلام"

ويقول الجوهري في "الصِّحاح": "القِبْطُ: أهل مصر". أما الأزْهَرِي في "تهذيب اللغة" فيقول: "قال اللَّيث: القِبطُ: هم أَهل مصرَ وبُنْكها، والنِّسبة إليهم: قِبْطِيٌّ".

جاء الفتح الاسلامي لمصر عام 638 في نفس العام الذي دخل فيه الإسلام للقدس، ولم يكن العرب غرباء بالنسبة لكثير من المصريين، فإن قبائل عربية كثيرة كانت قد استقرت في الصحارى المحيطة بوادي النيل، كما أن أهالي مصر كانوا قد سمعوا بارتياح كيف أن الخليفة عمر لم يرضى بالصلاة في كنيسة القيامة حتى لا تختلط الأمور فيدعيها المسلمون لأنفسهم.

ويجمع كل المؤرخين على أن أقباط مصر استقبلوا الفاتحين العرب باعتبارهم مخلصين من طغيان، كانوا يريدون التحرر من أغلاله، ولقد زادت طمأنينة الشعب في مصر حين سمعوا أول خطاب ألقاه " عمرو بن العاص " عام 644 وهو يقول: " اذهَبوا بعون اللّه فازرعوا الأرض وكلوا من خيراتها ولبنها وقطعانها وصيدها، واطعموا جيادكم وحافظوا عليها فهي عدتكم ضد العدو، وبها تنتصرون وتغنمون. واحفظوا عليها عهد جيرانكم الأقباط، 'ن أمير المؤمنين عمر قال لي أنه سمع رسول اللّه يقول: أن اللّه سيفتح عليكم مصر بعدي فاحفظوا عهد أقباطها فهم أهلكم وهم في حمايتكم ".

في القرن الثامن الميلادي أصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية في البلاد، وأصبحت لغة المعرفة والعلوم وحلت محل اليونانية، وطوال العهدين الأموي والعباسي بقيت مصر جوهرة الولايات الإسلامية، ولم يكن الواقع القبطي الإسلامي طوباوياً إلا أن الحوادث القليلة التي يذكرها التاريخ كان مرجعها اقتصادياً بالدرجة الأولى، أو نتيجة عسف أحد الولاة، وتجدر الإشارة إلى أن مصر شهدت 31 والياً في عهد الأمويين " بمعدل والي كل ثلاثة سنوات " و74 والياً في العهد العباسي " أي والي كل سنة ونصف " فمصر الثرية كانت مكافأة لأي وال له طموح في عهد الخلافتين.

الأقباط والغزو الصليبي:

بعد 500 عام على الحكم الاسلامي لم يظهر الأقباط أي تعاطف مع الاحتلال الصليبي، فالأقباط تذكروا فوراً تاريخهم مع الغزاة القادمين من الشمال

سواء كانوا من الرومان أو الإغريق، لم يحملوا إليهم خيراً ولا حملوا إليهم حرية، إضافة إلى الخلاف العقائدي بين الكنيسة الكاثوليكية متزعمة الغزو الصليبي ومباركته، وبين الأقباط الموسومين بالهرطقة، وفعلاً لم يخطأ الأقباط فلم يسمح لهم الصليبيون بزيارة القدس إضافة إلى ارتكابهم المذابح بحقهم ولعل أشهرها مذبحة دمياط عام 1219، وبعد ثلاثين عاماً وحين استطاع لويس التاسع ملك فرنسا أن يحتل دمياط مرة أخرى استبدل البطرك القبطي بأسقف كاثوليكي، ومع اقتراب نهاية الحملات الصليبية كان المصريون مسلمين وأقباط ويهود متساوين بالخسائر والجرائم التي ارتكبت بحقهم.

أما خلال حكم المماليك فقد كانت أحوال الأقباط غريبة كغرابة حكم المماليك الذين استعانوا بالأقباط في عدد من الوظائف الإدارية في مسائل الري، والجمارك، والضرائب، وما يشبه هذه المهام، لأن أمراء المماليك كانوا يستعينون بهم دون أن يشكلوا خطراً على سلطة الحكم، إلا أنه وما أن يظهر تحسن واضح على أحوال الإداريين الأقباط حتى يأتي قانون يجردهم من مكتسباتهم.

الأقباط في العصر الحديث:

مع انتهاء الحملة الفرنسية على مصر هبّت رياح التغيير والتبشير على الكنيسة القبطية التي بقيت على موقفها الحازم وامتنعت اتجاه أي تدخل، وتروي " ريتا هوج " ابنة المبشر الأمريكي الشهير " جون هوج" في كتاب لها أن والدها جلس يحاول إقناع البطريرك " كيرلسُ الرابع " أن يرفع الحظر الذي فرضه على نشاط الإرساليات التبشيرية الغربية بين أقباط مصر، لكن البطرك كان حازماً.. ولم يكتف كيرلس بالحزم اتجاه التبشير الغربي بل بقي على موقفه حين رفض الحماية من روسيا القيصرية.

وأثناء حكم أسرة محمد علي لمصر تبوء الأقباط مراكز قيادية تصل لرئاسة الوزارة، وتحمل الأقباط أعباء وميزات حكم هذه الأسرة، وتوحدت القوى القبطية والإسلامية في ثورة عام 1919 ضد الاحتلال البريطاني بقيادة سعد زغلول، عندما رفعت شعار " وحدة الهلال والصليب "، وفي حزب الوفد الممثل الوحيد تقريباً للوجه السياسي المصري فإن عدداً من أبرز أقطابه كانوا من الأقباط "ويصا واصف، وسينوت حنا، ومكرم عبيد باشا "الذي أعلن شعاره المشهور بأنه: " إذا كان واجبنا أن نحرر المصري من استغلال الأجنبي، فإن علينا في نفس الوقت أن نعمل لتحرير المصري من استغلال المصري.

ثورة 1952:

أتت الثورة لتطيح بمكتسبات الأقباط ولو بشكل غير ممنهج، فلم يكن هناك عضو قبطي في مجلس قيادة الثورة الذي أصبح بعد عام 1952 سلطة الحكم العليا في البلاد، مع أن جمال عبد الناصر مهندس الحركة أو الثورة راعى التوازن الطائفي في اختيار معاونيه حين استقطب إسلاميين قريبين للإخوان، وتجاهل ضرورة وجود قبطي في التشكيل، وكأن الأقباط محسوبين على أسرة محمد علي الحاكمة، كما أن حظر نشاط الأحزاب السياسية القديمة وخصوصاً حزب الوفد الذي كان الأقباط عنصراً بارزاً في نشاطه أدى على الفور إلى اختفاء عدد كبير من القيادات السياسية القبطية من ساحة الحياة العامة في مصر، وبدأ شعورٌ يسري بين الأقباط بالخسارة.

ومع تصاعد التطرف الديني زمن السادات بدأ تغير يظهر على المشهد المصري، وبدأ العنف واضحاً في التعامل مع الأقباط. فبحسب مركز " ابن خلدون ": وقع أكثر من 4000 قتيل وجريح قبطي بدون سبب سوى لكونهم مسيحيين، منذ حادثة الخانكة 8 / 9 / 1972 م عدا الأضرار بالممتلكات تقدر بعشرات الملايين من الدولارات، كما بدأت تشيع في المساجد والكنائس خطابات تحريضية من الطرفين، في كتابه "المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات" يقول الدكتور برهان غليون: "لم تطرح مسألة الأقليات في أية حقبة من حقب التاريخ العربي- الإسلامي بالحدة وبالخطورة التي تطرح بهما اليوم. وإذا اكتفيت بالنظر إلى المظاهر الخارجية لا نلمح أي تغيير إيديولوجي هام في الحقبة الأخيرة يدفع بالإسلام الأغلبي الذي عرف حتى القرن الثامن عشر على الأقل بروحه السمحة والمتسامحة إلى التعصب.. ".

وقد وصلت المواجهة بين الكنيسة القبطية وحكم السادات مداها بقرارات 5 سبتمبر 1981م عزل قداسة البابا شنودة الثالث بدير الأنبا بيشاوي بوادي النطرون، وذلك بإلغاء قرار رئيس الجمهورية رقم 2782 لسنة 1971 بتعيين الأنبا شنودة بابا الإسكندرية، الذي رفض التطبيع مع إسرائيل ورفض الافتاء للأقباط بالحج إلى الأماكن المقدسة، التي كان السادات يأمل بها ليظهر للعالم أن المصريين طبعوا مع إسرائيل وشعبها، وكان رد البابا شنودة على رسالة السادات " أرجوكم إبلاغ الرئيس السادات أنني لا أرى الوقت مناسباً لتنفيذ اقتراحه، ثم أضاف شارحاً أسبابه: " أن المشاكل التي تفصل مصر اليوم عن بقية العالم العربي سوف تحل ذات يوم، وأنا لا أريد أن يكون أقباط مصر هم خونة الأمة العربية حين تعود الأمور إلى مجاريها بين شعوب هذه الأمة وبالتالي فأنا لا أرى الوقت مناسباً الآن لاستئناف سفر الحجاج الأقباط إلى القدس "، ولم يكتف البابا بهذا، وإنما وجه نصيحته إلى عدد من الأقباط البارزين في مجال السلطة في مصر بأن يقللوا بشأن ظهورهم في مجال العلاقات مع إسرائيل لأن هذا من شأنه أن يحدث ردود فعل غير ملائمة على وضع الأقباط ليس في مصر وحدها، ولكن في العالم العربي كله.

وفي عهد الرئيس مبارك ظهرت بوادر انفراج بين النظام الجديد والكنيسة، إلا أن جذور الأزمة لم يحاول أحد التطرق لها ومعالجتها، يقول د. طارق حجي في كتابه " سجون العقل العربي ": رغم أن مصر كانت كلها مسيحية لعدة قرون ورغم أن المساهمة المصرية في بقاء العقيدة المسيحية بالشكل الحالي كانت المساهمة الكبرى وبرغم أن أكثر من مليون مصري قد ماتوا دفاعاً عن إيمانهم المسيحي فان معظم المصريين المعاصرين بما في ذلك المثقفين وخاصة المثقفين إما أنهم لا يعرفون شيئاً على الاطلاق عن المسيحية وتاريخها في مصر، أو أنهم على الأكثر يعرفون القليل جداً عن كل ذلك، وتدلني خبرتي المعرفية والثقافية على أن الإنسان كما أنه دائماً معرض لأن يكون عدو ما يجهل..

وعن مقالة نشرت في جريدة وطني 7 / 2007م بعنوان [لو كنت قبطيا].. لنفس الكاتب

* لو كنت قبطياً لملأت الواقع المصري والعالمي بالحقائق عن المناخ العام الضاغط اليوم في مصر على الأقباط.

* لو كنت قبطياً لجعلت العالم يعرف الظلم الذي حاق بالكثير من الأقباط في مصر منذ1952وجعلهم لا يتبوؤون ما يستحقونه من مناصب سياسية ومناصب تنفيذية عليا ناهيك عن ندرتهم بالمجالس النيابية.

* لو كنت قبطياً لملأت مصر والعالم ضجة بسبب أنني أسدد ضرائب تنفق منها الدولة على جامعة الأزهر ولكنها لا تسمح لقبطي أو قبطية بالدراسة في أية كلية من كلياتها.

* لو كنت قبطيًا لملأت الدنيا صخبًا بسبب أنني أسدد ضرائب تبني بها عشرات المساجد بينما لم تسهم الدولة المصرية في بناء كنيسة واحدة منذ1952بإستثناء مساهمة الرئيس جمال عبد الناصر في تكلفة بناء الكاتدرائية المرقسية بالعباسية منذ أربعين سنة.

* لو كنت قبطيًا لملأت الدنيا بصوتي لأن عددا من المجالس النيابية الحديثة في مصر خلت من الأقباط تماما.

لو كنت قبطيًا لنشرت المقالات تلو المقالات عن تجاهل وسائل الإعلام لشؤوني ومواسمي الدينية وكأن الأقباط غير موجودين في مصر.

* لو كنت قبطيًا لجعلت الدنيا بأسرها تعرف ما الذي يحدث في حق تاريخ مصر القبطي ببرامج التعليم المصرية، وكيف أن مادة اللغة العربية لم تعد لدراسة النصوص الأدبية وقصائد الشعر والروايات والمسرحيات والقصص، وإنما لنصوص إسلامية محلها مادة الدين للطلاب المسلمين.

* لو كنت قبطيًا لملأت الدنيا بالشكوى عما يعانيه الأقباط من أجل استصدار تصريح بإنشاء كنيسة(من أموالهم وليس من أموال الضرائب العامة التي ساهموا في حصيلتها).

* لو كنت قبطيًا لجعلت الدنيا تقف علي قدميها من هول ما يكتبه ويردده بعض الكتاب المسلمين عن عدم جواز تولي القبطي الولاية العامة، وعن الجزية وعن عدم صوابية انخراط الأقباط في الجيش، كما كنت قد ترجمت علي أوسع نطاق كتابات ظلامية مثل السخف الذي نشرة علي الملأ الدكتور: محمد عمارة بتمويل من الأزهر، الذي تأتي ميزانيته من دافعي الضرائب ومنهم الأقباط اللذين يحقرهم كتاب أو كتب منشورة علي نفقة الدولة.

* لو كنت قبطيًا لقدت حملة داخلية وخارجية لإلغاء خانة الدين من بطاقة الهوية المصرية - لماذا يريد أي إنسان يتعامل معي في الحياة العامة أن يعرف طبيعة ديني؟

* لو كنت قبطيًا لقدت حملة تشهير بالبيروقراطية المصرية، التي جعلت قانون الأحوال الشخصية لغير المسلمين يرقد إلى الآن قرابة ربع القرن في إدراج هذه البيروقراطية الآسنة، ولحد أن الأقباط أطلقوا(من باب الفكاهة)على هذا القانون(قانون الأهوال الشخصية)وليس(قانون الأحوال الشخصية)

* لو كنت قبطيًا لجعلت العالم يدرك أن قضية الأقباط في مصر هي عرض واحد من أعراض ذهنية شاعت وذاعت سطوتها في هذه المنطقة من العالم، وأن على الإنسانية كلها أن تجبر هذه الذهنية علي التراجع عن مسيرتها الظلامية.

في الختام أتى الربيع العربي لتدخل معه هذه الأمة عصر الشعوب الحرة، يقول الدكتور "حسام عيتاني: " ربما تعلن الثورات العربية الجارية اليوم بدايات النهاية لمعضلة العلاقات بين الأقليات والسلطة في المشرق العربي، إذا نجحت في بناء سلطات تنطوي على بدائل ديموقراطية للعلاقة المريضة السابقة وتضمن للأقليات حقوقها وحضورها من دون منّة ولا تهويل".

وفي النهاية حتى وإن حرقوا الكنائس فإنه لا يستطيع إنسان أن يحرق الكنيسة الحقيقية فهي في المعتقد المسيحي أكبر من مجرد الحوائط والمقاعد والسجاجيد، هي المؤمنون، وقلوبهم هي هيكل اللّه. وفي تعبير مشابه يقول المفكر الكبير زكي نجيب محمود "أنا المسجد وأنا الساجد". والأزمات لا تحطم هذا الشعب العريق، بل تزيده صلابة وتفرز افضل ما فيه. ومن أجمل ما قيل خلال الأزمة الراهنة "احرقوا الكنيسة سنصلي في الجامع، احرقوا الكنيسة والجامع سنصلي معاً في الشارع"..

نساء داريا
إصرار على الثورة

■ سعاد يوسف

داريا، واسمها مشتق من كلمة "دار".. أيقونة الثورة السورية السلمية.. مدينة العنب والدم والتي ارتكب فيها الجيش السوري النظامي واحدة من أقسى المجازر في شهر آب من العام الماضي.. هي اليوم، ورغم الحصار المستمر منذ ما يزيد عن التسعة أشهر، ونزوح معظم أهلها، لا تزال بالنسبة للكثيرين مصدر إلهام بتاريخ نضالها السلمي الذي يعود إلى ما قبل الثورة السورية بعدة سنوات، وحراكها المدني المنظم، وقوة وتوحد أهلها.

و"تجمع حرائر داريا" يعد من أبرز وجوه العمل السلمي فيها وواحداً من أوائل التجمعات النسائية في الثورة السورية، تم تأسيسه في شهر آذار 2011 ليأخذ مكانة هامة في حراك مدينة داريا المدني. ومع أن دوره تراجع نسبياً اليوم شأنه شأن العديد من التجمعات السلمية والتي لم تعد قادرة على العمل بسهولة في ظل تصاعد وتيرة العمليات العكسرية، إلا أن صبايا ونساء التجمع لا زلن مصرات على إيصال رسالتهن للعالم أجمع.

تحدثنا هبة وهي من مؤسسات التجمع عن بدايته فتقول إنه تأسس من حوالي ثمانية عشر فتاة بهدف دعم المظاهرات والحراك السلمي، ورغم رفض المجتمع المحلي في داريا بداية لخروج النساء في المظاهرات بسبب الوضع الأمني والتخوف من الاعتقال وإهانة النساء داخل المعتقلات إلا أنهن استطعن فرض حضورهن في المدينة من خلال مجموعة من النشاطات المدنية الداعمة للثورة كالاعتصامات النسائية وتوزيع المناشير التوعوية والنشاطات الخاصة بالأطفال إضافة إلى الأعمال الإغاثية والتي توسعت وأضحت أحد محاور عمل التجمع المهمة بعد مجزرة داريا ونزوح أغلب سكانها.

كذلك، تعمل نساء التجمع على دعم الجيش الحر بكافة الوسائل الممكنة لهن "حاولنا في داريا الحفاظ على سلمية الثورة حتى آخر لحظة إلا أن عنف النظام دفع الكثير من الشباب لحمل السلاح والانضمام لصفوف الجيش الحر. لم يخلو منزل في داريا من شهيد أو جريح أو معتقل، ولم يجد شبابنا حلاً لمواجهة النظام سوى في حمل السلاح والدفاع عن أهلهم ومدينتهم. ونحن نحاول دعمهم على قدر استطاعتنا".

تقول هبة أن نساء التجمع تفرقن اليوم بشكل كبير. فبعد مجزرة داريا ومن ثم حصارها، نزح القسم الأكبر منهن إلى أماكن متفرقة في دمشق وريفها، ناهيك عمن اضطررن للسفر، والأهم هو اعتقال عدد من مؤسسات التجمع واللواتي لا زلن قيد الاعتقال حتى اللحظة. كل ذلك جعل نشاط التجمع داخل سوريا صعباً للغاية وسرياً في أغلب الأحيان. وتضيف هبة بأن إحدى أهم الصعوبات التي يعانينها اليوم هي ضعف التمويل: "مصادر تمويلنا شحيحة وهي تنضب يوماً بعد يوم. نتعاون مع المجلس المحلي لمدينة داريا ومع لجان التنسيق المحلية لكنني أعتقد أن العالم والمجتمع الدولي أصابه ما يشبه الملل من سوريا، فمأساتنا وأخبار موتنا هي ذاتها كل يوم والوضع الإنساني في تدهور مستمر والجهد المطلوب للعمل والإغاثة يفوق قدراتنا لكننا مع ذلك نقوم بكل ما في وسعنا القيام به".

وعن مستقبل التجمع ورؤية عضواته لدورهن في سوريا ما بعد سقوط النظام، تقول هبة أن "الجهد الأكبر والأهم هو ما سنبذله في المستقبل. بدأنا منذ فترة بالعمل على إعادة هيكلة التجمع وتقسيم المهام بحسب الاختصاصات وذلك تمهيداً لتوسيع عملنا ونشاطنا بعد سقوط النظام. المستقبل يحمل لنا الكثير من الأعباء في كافة المجالات من إعادة الإعمار ونشر الوعي والاهتمام بالأيتام الذين فقدوا ذويهم خلال الثورة، وكذلك التعليم وهو أحد أهم أولوياتنا".

مع تحول الثورة للعمل المسلح في معظم المناطق، ترتفع بعض الأصوات المستنكرة للعمل النسائي بحجة "عدم ملاءمته للمرحلة الحالية"، ومع هذا، ورغم طابع مدينة داريا المتحفظ، لم تمتنع نساؤها عن دعم الثورة والعمل على تأسيس كيان مستقل خاص بالمرأة سيكون دوره الفاعل الأكبر، كما تطمح فتيات التجمع، بعد سقوط النظام.

في الكيميائي والفيزيائي

■ خالد كنفاني

تقول العرب: آخر العلاج الكي...

أما السوريون فقد قرروا أن آخر العلاج هو الكيميائي...

ما بين اتهام المعارضة والنظام حول مصدر إطلاق الصواريخ الكيميائية فإن ما يقرب من ألف وثلاثمائة شخص أزهقت أرواحهم بدم بارد، ويتم اليوم استغلال صورهم من قبل كلا الطرفين لإثبات وجهة نظر معينة وللوصول إلى غايات سياسية رخيصة.

كل إنسان من هؤلاء كانت له حياة وعائلة وروح ودماء تجري في عروقه، ويتحول كل هؤلاء فجأة إلى أكوام من اللحم والدم ملقاة ومجمعة في غرف منعزلة لعرضها على كاميرات المصورين الذين احترفوا تجارة الدم وباتت مصدر رزق لا ينضب.

بالنسبة لأوباما فإن استخدام الكيميائي "سيكون قضية كبيرة إن ثبت"، بينما تدعو مستشارته للأمن القومي سوزان رايس "السلطات السورية السماح لمفتشي الأمم المتحدة الوصول إلى موقع المجزرة"، وكأنها لا تزال تثق بالسلطات السورية والحكومة السورية، بينما مضى زمن طويل منذ أعلن أوباما أن الأسد فقد شرعيته، ولم نعد نفهم هل كان يتكلم عن الأسد كشخص أم عن النظام ككل، فقد حار علماء السياسة والتدجيل في اختراع المصطلحات والألفاظ السياسية التي تهدف إلى إضاعة التركيز على أي هدف أو اتجاه.

أما روسيا فإنها "لا تريد التسرع" في إصدار الاتهامات ودعت أيضاً النظام السوري وكذلك المعارضة للتعاون مع لجنة المفتشين الدوليين، إذاً فالجميع يدعو النظام للتعاون وكأن البلاد تعيش في سلام ولا توجد سوى هذه الحادثة، وبينما يؤكد كل الخبراء ضرورة سرعة التوجه للمنطقة قبل اختفاء آثار الجريمة يماطل الجميع في التصريحات والبيانات الصحفية.

وبعيداً عن الولايات المتحدة وروسيا، تبقى السويد وألمانيا وساحل العاج وموزامبيق وتشيلي وجزر فيجي على شكها وشبه تأكيدها على استخدام السلاح الكيميائي "دون التأكد من مصدره".

عندما مات أنس وسوسن ومحمود وفاطمة وعبد الله وليلى ويوسف وآلاء ومئات غيرهم لم يكونوا يدعمون نظاماً ولا معارضة، كان ذنبهم الوحيد أنهم أطفال من عاشوا من في هذه المنطقة من العالم وقرر هؤلاء الصراع على شيء ما أو ضد شيء ما، ولكنهم كأطفال لا ناقة لهم ولا جمل في كل هذا الصراع. كان قدرهم أن يحيوا هنا وكان الجزار في انتظارهم ليدفنهم هنا.

مشكلتي اليوم ليست في مسألة استخدام السلاح الكيميائي، لأن السوريين لا يزالون يموتون بفعل السلاح الفيزيائي منذ ما يقرب من ثلاثة أعوام ولم يأبه أحد، من الذي يقرر أن استخدام السلاح الكيميائي فقط هو جريمة حرب بينما السلاح الفيزيائي لا يرقى إلى ذلك؟ من يعطيكم حق تقييم الجريمة حسب نوع السلاح؟ إن الروح التي تم إزهاقها روح واحدة، ولم يعد من فرق عند الموت فقد ذهبت الروح إلى غير رجعة، وهناك في السماء لا تسأل الملائكة الروح كيف أزهقت، ولا تفهم الملائكة معنى السلاح الكيميائي والفيزيائي، إنها تفهم شيئاً واحداً، أن هذه الروح فقدت كل اتصال بالأرض وباتت في عهدة السماء.

عمل للفنان: محمد دياب الويس

يموت الناس اليوم باستخدام كل علوم الأرض، ليس الكيمياء والفيزياء وحسب، إن التقنيات التي يستخدمها البشر في قتل وتعذيب بعضهم بعضاً لا توصف، وفيها من العبقرية الدموية ما لا يصدق، ويبدو الشيطان ضعيفاً ومسكيناً أمام جنون البشر الذي لا تحده حدود ولا تضبطه أخلاق ولا أنظمة سواء كانت سماوية أو وضعية.

لسنا نبتغي الفلسفة ولا التنظير، فأمام عيون الطفل المسجى على أرض باردة وقد ازرقت وجنتاه وانتفخت أطرافه تتهاوى كل المعاني والفلسفات والنظريات وتسقط كل حقوق الإنسان وبيانات السياسيين وتصريحاتهم، أمام جلال ورهبة الموت يكفر الإنسان بكل قيم الإنسانية التي انتفخنا بها عبر عقود من التعليم الطوباوي المنفصل عن الواقع والحياة. من يدعي أن الحياة مقدسة والروح خالدة عليه أن ينظر في عيني ذات الطفل المسجى وهي تحمل كل براءة وسكون الكون، عليه أن يمسك بيده الباردة التي كان من المقدر لها أن تمسك القلم في المدرسة والكرة في الملعب ولكنها لن تمسك شيئاً بعد اليوم سوى يد ملاك الموت الذي سيقوده إلى الجنة.

من يقود الموت اليوم في سوريا؟

كم يلزمنا من الموتى حتى نصل إلى هذه الحقيقة؟

يموت أطفالنا ويعيش رجالنا معوقين بينما تستباح نساؤنا ولا مخرج من هذا الظلام إلا إلى المزيد من الظلام.

النظام؟ بالتأكيد.

الجيش الحر؟ طبعاً.

لواء التوحيد؟ بلا شك.

النصرة ودولة العراق والشام؟ بديهي.

كلهم يقودون الموت في سوريا ولن أستثني منهم أحداً. لم تعد المسألة دفاعاً عن النفس ولا دفاعاً عن متظاهرين سلميين لأن كل ذلك اختفى تحت وطأة سنابك الخيل وسيوف الدم التي لم تفرق بين البشر.

أما هدف الموت لدى كل منهم فلم يعد يعنيني، ما يعنيني اليوم هو رقم مرعب يتحدث عن مليون طفل سوري مشرد لا يمكننا سوى أن نتخيل حالتهم النفسية والتربوية والاجتماعية ومدى المخاطر التي تحدق بهم على كل المستويات. هؤلاء الأطفال كانوا يوماً ما أملاً في مستقبل لهذا الوطن وباتوا اليوم ذكرى للبراءة.

إن كان القتل فيزيائياً أو كيميائياً فهو قتل ومن يعيد الحياة اليوم لطفل فقدها بعد أن كان كل هدفه أن يحياها كما باقي أطفال العالم. ومهما قدمنا له من تبريرات فهي خالية المضمون، فهو فقد حياته ولن تعود إليه أبداً، فماذا ينفعه إن سقط النظام أو سقط لواء أبي لهب؟

لعبة السياسة القذرة والتي بدأ المعارضون باحترافها لا تبشر بأي خير، وتراشق الاتهامات بينهم وبين النظام لا يزيد حياة الناس إلا صعوبة ولا يزيد من جحيمهم إلا اشتعالاً.

آخر الكلام: يقول محمود درويش:

فإن أسباب الموت كثيرة...

من بينها وجع الحياة...

والموتى سواسية أمام الموت...

أحكام الموطن في القانون السوري

■ ياسر مرزوق

الموطن العام أو الموطن الأصلي:

الموطن قانوناً هو المكان الذي يعتد به فيما يتعلق بعلاقات الشخص القانونية، ويعتبر المقر الذي توجه غليه المخاطبات القضائية والقانونية وفي هذا المقر يتحدد مكان الوفاء والالتزام ويتحدد الاختصاص القضائي وغيره، ولقد عرف القانون المدني في المادة / 24 / منه " الموطن هو المكان الذي يقيم فيه الشخص عادةً" وقد عرّفت محكمة النقض السورية الموطن أيضاً " هو المكان الذي يقيم فيه الشخص عادةً، وإن مجرد الوجود أو السكن في مكانٍ ما لا يجعل منه موطناً ما لم تكن الإقامة فيه مستقرة "، وتبدو فائدة الموطن من الوجهة القانونية في نواح عدة، فعلى سبيل المثال لا الحصر نصت المادة الثالثة من أصول المحاكمات الجزائية على أن دعوى الحق العام تقام على المدعى عليه أمام المرجع القضائي المختص التابع له مكان وقوع الجريمة في موطن المدعى عليه أو مكان إلقاء القبض عليه، ولا مفاضلة بين المكانين إلا بالأسبقية في رفع الدعوى.

كما استقر الاجتهاد القضائي على أنه في حال تعدد المدعى عليهم في الخصومة وكان موطن كل منهم يقع في دائرة محكمة مستقلة، فللمدعي في هذه الحالة أن يرفع الدعوى أمام المحكمة التي يقع في دائرتها موطن أحدهم.

كما نصت المادة / 81 / من قانون أصول المحاكمات المدنية " متى كانت المحاكم السورية مختصة وكان ليس للمدعى عليه الأجنبي محل إقامة في سوريا يكون الاختصاص لمحكمة موطن المدعي ".

الموطن القانوني أو الإلزامي:

فرض القانون المدني السوري على بعض الأشخاص في المجتمع موطناً قانونياً وقد حصره في ثلاث حالات: الموظفون العامون، الأشخاص الحائزون على كامل الأهلية الذين يشتغلون عند الغير ويقيمون معه، القاصرون والمحجور عليهم والمفقودون والغائبون ".

الموطن التجاري أو موطن الأعمال:

نصت الفقرة الأولى من المادة / 43 / من القانون المدني على أنه " يعتبر المكان الذي يباشر فيه الشخص تجارة أو حرفة موطناً بالنسبة إلى إدارة الأعمال المتعلقة بهذه التجارة أو الحرفة " ومن ذلك أن التجار وأصحاب الحرف لهم بالإضافة إلى موطنهم العام موطن خاص مرتبط بأعمالهم ويجوز توجيه التبليغات والمخاطبات القانونية للموطن الخاص.

الموطن المختار:

هو الموطن الذي يختاره الشخص ليباشر فيه بعض الأعمال الخاصة وذلك عند تعاقده مع شخص آخر، أي أنه موطن خاص يتعلق بعملٍ معين وهو بهذا الشأن يتشابه مع موطن الأعمال إلا أنه يختلف عنه في أن صاحبه غالباً هو الذي يقوم بتعيينه بإرادته ومشيئته. فالموطن المختار لا يتصل بمحل الإقامة بل بالنشاط القانوني الذي نشأ من أجله هذا الموطن الخاص، ومصدر الموطن المختار يكوم من خلال العقد أو النص القانوني أو التصرف القانوني بوجهٍ عام.

نصت المادة / 45 / من القانون المدني " الموطن المختار لتنفيذ عمل قانوني يكون هو الموطن بالنسبة إلى كل ما يتعلق بهذا العمل بما في ذلك إجراءات التنفيذ الجبري إلا إذا اشترط صراحة على قصر الموطن على أعمال دون أخرى ".

والأصل أن الموطن المختار يظل معتبراً في نظر القانون طيلة المدة اللازمة لتنفيذ العقد الذي يتعلق به باعتبار أنه جزء من العقد وفرع منه يظل منتجاً لمفاعيله مادام العقدُ قائماً ولم ينقض بعد، أما إذا استوفى العقد أغراضه وانقضى فلا يبقى للموطن المختار أي أثر وينقضي بانقضاء العقد، ويرجع الحكم إلى الموطن الأصلي المقرر في القانون. كما أنه يمكن تبديل الموطن المختار بناءً على اتفاق المتعاقدين أنفسهم ما لم يكن اختياره قد تم أصلاً لمصلحة أحد المتعاقدين، هذا ولا يجوز إثبات الموطن المختار إلا بالكتابة بحسب المادة / 45 / من القانون المدني السوري.

موطن الشخصية الاعتبارية:

الشخصية الاعتبارية تنشأ من تكتل جماعات من الناس حول هدف معين كالجمعيات والشركات أو عن تخصيص مجموعات من الأموال لغرض محدد كالمؤسسات مثلاً، هذا الشخص منحه القانون المدني وفقاً للمادة / 55 / كافة الحقوق التي يتمتع بها الشخص الطبيعي إلا ما كان منها ملازماً لصفة الإنسان الطبيعية كما نصت نفس المادة على " يعتبر موطن الشخص الاعتباري المكان الذي يوجد فيه مركز إدارته والشركات التي يكون مركزها الرئيسي في الخارج ولها نشاط في سوريا، يعتبر مركز إدارتها بالنسبة للقانون الداخلي المكان الذي توجد فيه الإدارة المحلية ".

الموطن في قانون الأحداث الجانحين:

تنص المادة / 36 / من قانون الأحداث الجانحين على ما يلي: " يعين الإختصاص المكاني لمحكمة الأحداث الجانحين وفقاً للترتيب التالي: محل وقوع الجرم، موطن الحدث أو موطن أبويه أو وليه، معهد الإصلاح أو مركز الملاحظة الذي وضع فيه الحدث ". كما نصت المادة / 43 / من القانون " للمحكمة المحال إليها الحدث أن تتخلى عن الدعوى إذا كانت مصلحة الحدث تقتضي ذلك وتحيله إلى المحكمة الواقع في منطقتها موطن الحدث أو وليه أو معهد الإصلاح أو مركز الملاحظة المنقول إليه الحدث على أن لا ينشأ عن هذا التخلي ما يعرقل سير المحاكمة ".

الموطن الانتخابي:

يمتاز الموطن الانتخابي بأهمية بالغة بالنسبة للشخص على صعيد ممارسته حقوقه الإدارية والسياسية وبخاصة ممارسته لحقه في الانتخاب والترشح، وللناخب أن يمارس حقه الانتخابي في الانتخابات العامة في أحد الأماكن التالية: 1ـ في محل قيده في السجل المدني. 2ـ في محل عمله أن كان من العاملين في الدولة وفي وجهات القطاعين العام والمشترك، وذلك بالاستناد إلى وثيقة من الجهة التي يعمل فيها، 3ـ في محل إقامته الفعلي. أما في انتخابات المجالس المحلية فعلى الناخبين التسجيل في الجداول التابعة لمناطقهم ولا يجوز التسجيل في أكثر من جدول انتخابي واحد.

تجدر الإشارة إلى أن قانون الأحوال المدنية قدم تعريفاً مخالفاً للقوانين الأخرى معتبراً الموطن هو المكان الذي فيه قيد النفوس ويكون خاصاً لممارسة الحقوق المدنية.

أحد أحياء مدينة حلب السكنية بعد تعرضه للقصف

مجزرة تلو المجزرة .. والعالم يتفرج

■ زليخة سالم

سيناريوهات للتدخل الدولي يسربونها بين الحين والآخر، للتهدئة أو لتمييع المواقف، وتصريحات غربية متناقضة ورافضة لأي تدخل، والدم السوري ينزف وأشلاء أطفالنا ونسائنا تتناثر من مجزرة إلى مجزرة بالصواريخ والبراميل المتفجرة وسكاكين الحقد وليس آخرها بالأسلحة الكيميائية.

مجزرة الغوطة الشرقية ليست الأولى ولن تكون الأخيرة إذا بقي هذا النظام المتوحش يتلقى الدعم من شركائه في قتل السوريين روسيا وإيران علناً وجهراً ومن الدول الغربية بالخفاء.

مجزرة مروعة وغير مسبوقة أكثر من 1300 شهيد 67 ٪ منهم من الأطفال والنساء مرشحون للزيادة و9838 جريح ومصاب من القصف الكيماوي على الغوطتين الشرقية والغربية بريف دمشق منهم 3041 إصابة شديدة حسب تقرير مركز توثيق الانتهاكات في سورية، تحت أعين فريق مفتشي الأمم المتحدة الذي كان موجوداً على بعد عشرة ألاف كيلو من موقع الهجوم.

وقام ناشطون بتجهيز عينات من أنسجة بشرية وجلد وشعر ومن التربة وصور للمواقع التي تم قصفها وتم إرسالها إلى دمشق لإيصالها إلى فريق التفتيش خوفاً من إتلاف الأدلة مع مرور الوقت.

غوطتي دمشق الشرقية والغربية المحاصرة منذ ما يقارب عشرة أشهر تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة وانقطاع المياه والكهرباء ونفاذ الأدوية والمستلزمات الطبية الأمر الذي ضاعف من صعوبة إنقاذ جميع المصابين، إضافة إلى القصف المتواصل الذي منع الوصول إلى جميع الأهالي لإنقاذهم.

إلا أن الغوطتين كانتا غنيتين برجالها وثوارها ومتطوعيها وكادرها الطبي الشجعان الأبطال الذين قدموا أكثر مما في وسعهم لإنقاذ المصابين، إلا أن بعض الكوادر الطبية والمسعفين استشهدوا بعد تأثرهم بالغازات الكيميائية.

وطالب الائتلاف الوطني في مؤتمر صحفي الامم المتحدة لتوجيه فريق المفتشين إلى الغوطتين الشرقية والغربية لإجراء التحقيق اللازم حول استخدام الأسلحة الكيميائية، مع ضمان سلامته من قبل الجيش الحر.

وقدم بدر جاموس الأمين العام للائتلاف معلومات موثقة حول ارتكاب النظام لمجزرة الغوطة الشرقية والغربية.

لا أدري إذا شاهد العالم الشيخ المسن الذي يفطر منظره القلوب، لمن لديه قلب ومشاعر وحد أدنى من الإنسانية، وهو يبحث عن زوجته وأولاده بين جثث الشهداء، والأم التي تبحث بلهفة عن أطفالها بين كومة الأطفال، والطفلة التي يحاولون إنقاذها من الاختناق بغاز السارين القاتل، وتأثر الكادر الطبي والمتطوعين الذين يسعفون المصابين واستشهاد بعضهم، مناظر يندى لها جبين العالم، وإذا لم تهتز مشاعر الإنسانية من كل هذه الصور فهذا يعني أن الإنسانية ماتت، ونحن نعيش في عالم متوحش كل منهم ينتظر الفرصة كي ينقض على الآخر ليفترسه في هذا

العالم الذي فقد أخلاقه وإنسانيته أمام أقدام وأحذية أطفال سورية.

العالم الذي اكتفى عبر مجلس الأمن الدولي بإصدار بيان طالب فيه بالتحقيق المستقل أو بتوضيحات، رغم هول المجزرة وفظاعتها وبشاعتها وقذارة مرتكبها، بدلاً من اتخاذ موقف أقله إنساني إذا لم يرغب باتخاذ موقف عملي يوقف مجازر هذا القاتل السفاح المجرم المتوحش، يثير التساؤل حول جدوى مجلس الأمن ودوره في حماية حقوق الإنسان وتطبيق المواثيق الدولية في هذا الشأن

وفي ظل هذا الصمت والتخاذل والتواطؤ الدولي علينا أن نتساءل هل هي مجرد مصادفة وجود فريق الأمم المتحدة للتحقيق في دمشق عند قصف الغوطة الشرقية والغربية بالأسلحة الكيميائية التي قال الرئيس الأميركي أوباما منذ عام أنها خط أحمر، وأن استخدام النظام لها سيغير من حساباته حول موقف الولايات المتحدة من الأزمة السورية ملوحاً باحتمال التدخل، عام مر على هذا التصريح تخلله عشرات المجازر، ومئات التصريحات المتخبطة لمسؤولين أميركيين منها ما يؤكد استخدام النظام للأسلحة الكيميائية ومنها ما يشكك في مشهد بات هزلياً ونحن نعلم علم اليقين أن المخابرات الأميركية منتشرة في كل أرجاء سورية تراقب ما يحصل من تطورات وأقمارها الصناعية تصور كل شاردة وواردة ولديها صور موثقة للفاعل وليست بحاجة إلى تحقيقات دعت إلى إجرائها.

وتتوالى تصريحات المسؤولين الغربيين حول المجزرة ففي حين يقول أوباما أن التجارب أثبتت أن الأسد لن يتعاون بشأن الكيميائي ولا يتوقع أي تعاون منه بالتحقيق، تقول الناطقة باسم الحكومة الأميركية أن أميركا غير قادرة على الجزم باستخدام الأسلحة الكيميائية وأنها تسعى لتهدئة الأوضاع.

في حين أعلن قائد الجيوش الأميركية الجنرال مارتن دمبسي أن أي تدخل عسكري أميركي في سورية لن يكون في مصلحة الولايات المتحدة الأميركية، لأن مقاتلي المعارضة السورية لا يدعمون المصالح الأميركية في المنطقة

وأكد معارضته لأي تدخل عسكري في سورية ولو كان محدوداً وقال بأن المعسكر الذي ستدعمه أميركا يجب أن يكون مستعداً لتعزيز مصالحه ومصالحها عندما تنتقل السلطة إليه.

وتشدد فرنسا على ضرورة اللجوء إلى الرد باستخدام القوة إذا ثبت استخدام النظام السوري الأسلحة الكيميائية ضد شعبه، ويستبعد وزير الخارجية الفرنسية لوران فابيوس بشكل قاطع إرسال قوات على الأرض، وقال: إذا ثبت وقوع هذا الهجوم لايمكن أن يبقى دون رد فعل من الذين يؤمنون في الشرعية الدولية، وإذا لم يكن بوسع مجلس الأمن اتخاذ قرار عندها يتحتم اتخاذ القرارات بشكل آخر رافضاً إعطاء توضيحات حول ما هو أبعد من ذلك لأن ليس لديه أبعد من ذلك كالسابق، تصريحات مستهلكة نسمعها منذ بداية الثورة وأصبحت كبيانات التنديد العربية.

وعبر بأن كي مون كالعادة عن قلقه من استخدام الكيميائي، محذراً من أن جريمة الكيميائي في حال تأكدت فهي جريمة ضد الإنسانية وانتهاكا للقانون الدولي.

وحدهما بريطانيا والسويد اتهمتا النظام باستخدام الأسلحة الكيميائية وأعلنتا أنه من شبه المؤكد استخدام النظام للكيميائي في ريف دمشق، وأكد وليم هيغ وزير خارجية بريطانيا أن الحكومة السورية لديها ما تخفيه بشأن الهجوم الكيميائي. ا

ويقول خبراء بريطانيون، لم نجد تفسيراً لما حدث غير استخدام السلاح الكيميائي.

الصين دعت إلى عدم استباق نتائج التحقيق كحليفتها روسيا التي طالبت بتحقيق موضوعي بعد أن علت أصوات تؤكد قيام النظام بمجزرة الغوطة.

تصاريح متضاربة ضبابية، نعتقد، ونرى، وإذا ثبت، وإذا تأكدت، رغم كل التوثيق الذي جرى بالصوت والصورة، وذلك لاستهلاك الوقت بحجة انتظار موافقة الحكومة السورية لفريق التحقيق بزيارة موقع الجريمة في الغوطة، أميركا وحليفاتها من الدول الغربية لم تنتظر قرار مجلس الأمن أو سماح الحكومة العراقية عندما غزت العراق، وكانت متأكدة بعدم وجود أسلحة كيميائية في العراق، ولم تنتظر قراراً دولياً لتجتاح أفغانستان وتنتظر الآن سماح الحكومة السورية، ثم إنها أعلنت أكثر من مرة تأكيدها باستخدام النظام السوري للأسلحة الكيميائية، وعادت عنها لتعطي النظام الضوء الأخضر لاستخدامها من جديد، وهذا ما يطرح سؤالاً كيف تغاضت أميركا وإسرائيل عن كل هذه الأسلحة الكيميائية في سورية، لو لم تكن متأكدة أنها لن تستخدم إلا ضد الشعب السوري.

وفي حالة سورية هي لن تغزو وتحتل وتجتاح لأن ما تريده من قتل وتدمير للحجر والبشر يحصل أمامها بأيدي السوريين أنفسهم وبأيدي دولة العراق والشام وجبهة النصرة وأخواتها والكتائب الجهادية التي سمحت بدخولها لتقتل الثورة والثوار باسم الثورة ولتبرر تخاذلها أمام نزيف الدم السوري.

نعيش مسرحية هزلية يتبادل فيها المجتمع الدولي التصريحات المتضاربة وإتباع سياسة شد الحبال ومع إدراكنا أن الدول لاتعمل إلا وفق مصالحها، إلا أنه من المفترض أن يكون حدود دنيا للأخلاق والإنسانية التي سقطت وعرّت الدول التي تدعي حماية حقوق الإنسان.

أنا أدرجت تصريحات الدول الغربية وحكوماتها وحيدت روسيا والصين وإيران لأن هذه الدول هي شريكة فعلية في قتل الشعب السوري ودعمها للنظام علني وفاضح وبتأييد مستتر من الدول الغربية التي تتلطى بموقف هذه الدول لتبرير صمتها الذي يصب أولاً وأخيراً في مصلحة إسرائيل اللاعب الرئيسي في السيطرة على القرار الدولي من خلال سيطرة الصهاينة على اقتصاديات العالم الغربي والشرقي وحتى العربي الحكومي وفي محاولة للمحافظة على عميلهم الأهم في المنطقة بشار الكيميائي.

كنا نحصي الشهداء يومياً فأصبحنا نحصي ونعد المجازر بالصواريخ والبراميل المتفجرة والذبح، والكيماوي، وسنذهب إلى الإبادة الجماعية إذا بقي هذا السفاح وعصابته.

ناشدنا العالم وخذلنا، وتآمر علينا، حتى ما يسمون بأشقائنا من الشعوب العربية، وقفوا متفرجين دون أي مظاهر احتجاج، لذلك علينا أن نعتمد على أنفسنا ونوحد قوانا في كل المجالات، ونخرج من حالة الفردية، التي أطالت أمد ثورتنا، ولكي لا نبرأ أنفسنا فنحن لم نستطع الاتفاق على تشكيل قيادة للثورة في الداخل، ولم تتمكن كتائب الجيش الحر من الانضواء تحت قيادة موحدة في الداخل، وتقاعسنا عن إيصال صوتنا وقضيتنا إلى الرأي العام العالمي بخطاب يفهمونه، وفشلنا حتى في اتخاذ موقف موحد من مقاطعة نوع من البضائع للحد من الاستغلال الذي يمارسه تجار الحروب، أو من تنفيذ دعوات الإضراب المتكررة التي دعا إليها الثوار في أكثر من مناسبة، وهذا ما يؤكد أن طريق النصر هو توحيد كلمتنا، ومواقفنا، ورص صفوفنا، وتركيز أولويتنا على إسقاط النظام، وبعدها نتحاور حول كل القضايا الخلافية.

الرحمة لشهداء الثورة والشفاء للجرحى والتحية والتقدير لمن جازف بحياته لإنقاذ المصابين، هؤلاء هم السوريين وليس من أحتفل ورقص في الشوارع على ذبحنا وقتلنا ممن كنا نظن أنهم أهلنا.

راشد الغنوشي:
الحريات العامة في الدولة الإسلامية

■ ياسر مرزوق

يقدم الشيخ راشد الغنوشي قائد حركة النهضة الإسلامية في تونس في كتابه هذا تصوراً للمشروع الإسلامي في مجال الحريات العامة، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه، ولكن الظروف القاسية التي تعرّض لها الشيخ راشد وجماعة النهضة حالت دون تقديمها للمناقشة، وكان الشيخ الغنوشي قد أعدّ مادة الكتاب أثناء اعتقاله في الفترة 1981 – 1984، ثم اختفائه في صيف عام 1986.

واعتمد الأستاذ الغنوشي في محاولة صياغة النموذج الإسلامي في الحريات العامة منهج استيعاب الفكر والنموذج الغربي الليبرالي، وإنجازاته في حقوق الإنسان، والديمقراطية والحريات، واستيعاب الفكر الإسلامي المستمد من الكتاب الكريم، والسنة النبوية والتاريخ والتراث الإسلامي، والذي قدم نموذجاً فريداً مبتكراً "الخلافة الراشدة"، ثم حدث تراجع وجمود أوقف استيعاب الفكر الإسلامي ومسايرته للتطور البشري.

يتناول المؤلف ما حدث من جور في تاريخ الدولة الإسلامية، على الرغم من أن الإسلام قرن بين الاستبداد والظلم، وبين التوحيد والعدل، وفي هذا السياق يفصل الغنوشي أو يميز بين النظرية (الشريعة) والتاريخ الإسلامي، من حيث أنه يمثل الجانب التطبيقي الذي هو فعل المكلفين، فما حدث من جور ليس في رأيه من مسؤولية الإسلام، وإنما هو مسؤولية المسلمين الذين تجلت في سلوكهم – إلى حد كبير – الروح التي كانت سائدة في عهدهم ذلك، على الرغم من أن التاريخ الإسلامي قد عرف بنفس القدر ازدهاراً للتعدد الثقافي والحضاري، والتسامح الديني والفكري، وعرف – بدرجات متفاوتة – ظاهرة التعدد السياسي بما يتجاوز عصره بكثير.

يقول الغنوشي: " ليست الدولة الإسلامية مجرد حارس للحدود، أو شرطياً للدفاع عن مصالح فئوية، وإنما وظيفتها الرئيسية إقامة العدل، وأبسط معاني العدل الذي لا معنى للعدل بدونه توفير حد الكفاف للجميع كخطوة لتحقيق الكفاية، وإلى أن يتوفر ذلك الحد المتقوم بغذاء، وسكن، وكساء، ودواء، فلا حرمة لمال، بل تستباح الأموال الخاصة، والعامة، في سبيل ذلك، ولو أدى الأمر إلى قتال المانعين لأنهم بغاة، وليس العمل الأول للدولة تقديم الهبات للمحتاجين كلا، وإنما توفير الأعمال".

أما عن الديمقراطية فيقول: "لقد بدا لي واضحًا أن الديموقراطية مثلاً ليست مفهوماً بسيطاً، كما يظن، وأنها ولئن قدمت مفاهيم للحرية وأجهزة لتجسيدها وترشيح الإجماع في مجتمع قومي محدود، ويمكن وصفها في الجملة بأنها "لا بأس بها"، أو هي أقل الموجود سوءاً فهي أبعد ما تكون عن الكمال والخير المطلق، إنها لا تعدو كونها ممكنا من الممكنات، غير أنها ليست بحال العدو المتربص بالإسلام، الذي يجب التوقي منه وتعبئة المسلمين لمواجهته، كما يزعم بعض الغيورين ضحايا الاستبداد والذين بدل أن يتجهوا إلى جذر البلاء في الأمة ومرد ما هو به من شقاء أخطأوا التقدير وصوبوا سهامهم إلى غير عدو، ملحين في رفض الديمقراطية وكأنها معروضة عليهم صبحا وعشيا!! بينما المعروض على هؤلاء المساكين بل المفروض عليهم هو فقط الاستبداد تسجيناً وتشريداً وتكميماً للأفواه وعدواناً مبرمجاً على الكرامة"

ثم يطرح المؤلف مجموعة من الضمانات تحول دون انحراف الدولة الإسلامية وترديها في الجور، خاصة وقد حدث ذلك تاريخياً، ومن الضوابط الأساسية التي يقترحها المؤلف النظر

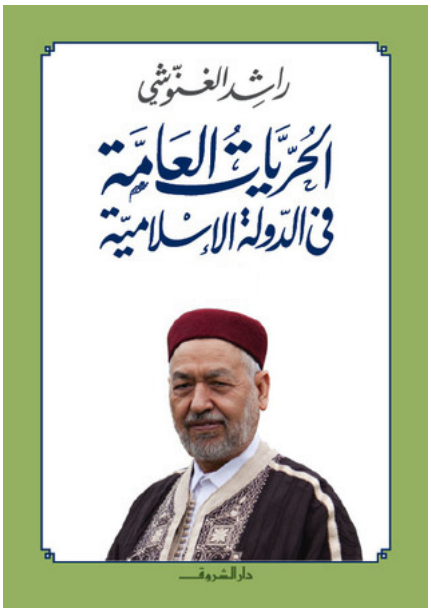

أولاً: إلى أن المشروعية العليا في الدولة إنما هي لله سبحانه وتعالى من خلال شريعته، وأن الأمة هي المستخلفة عن الله وليس فرداً أو مؤسسة أو جماعة بعينها، الأمر الذي يضع قيوداً على سلطان الدولة التشريعي والتنفيذي.

ثانياً: اعتبار عقد النيابة وكالة خاصة، الأمر الذي يجعل النائب أو عضو مجلس الشورى تحت مجهر رقابة الناخبين بشكل دائم.

ثالثاً: اشتراط عدم احتجاب الحكام في أبراج عاجية عن الشعب، مع منع جمعهم بين سلطتي المال والحكم.

رابعاً: إقامة نظام اقتصادي يضمن عدم تركيز الثروة، ويسهل توزيعها وتكثير عدد المالكين.

خامساً: إقامة نظام اجتماعي يؤكد قيمة العمل، ويعترف بالتملك وحق الفقير في مال الغني.

سادساً: إقامة نظام تربوي يشيع المعرفة وييسر وسائلها ويرفع سلطان الدولة عن عقول الناس وأرواحهم.

سابعاً: إقامة نظام تعدد الأحزاب بضوابط معينة، وضمان عدم اشتغال الأحزاب بالصراعات الهامشية على حساب المصلحة العليا العامة.

ثامناً وأخيراً: إقامة نظام إداري للحكم المحلي، يسحب معظم صلاحية الحكومة المركزية ليضعها في يد الشورى الشعبية. والى جانب الضوابط أو الضمانات السابقة الذكر، يشير المؤلف إلى مبدأ فصل السلطات بوصفه ضماناً من ضمانات عدم الجور، مؤكداً على استقلالية القضاء، ونفاذ أحكامه، ومضيفاً أن الموقف الإسلامي يحتمل الفصل والتعاون أو الاندماج في شأن العلاقة بين سلطة التشريع والتنفيذ، بيد أننا نجده يرجح الفصل غير المغلظ او المرن بين السلطات الثلاث.

ويضيف الغنوشي عن مفهوم الحرية، بأنه إذا كان الإسلام ثورة شاملة على الطواغيت والظلمة تحريراً لإرادة الإنسان من كل عبودية لغير الله حتى جاز لدارسي الإسلام تلخيصه بأنه ثورة تحررية شاملة، فلا ينبغي أن يفهم من الحرية معناها المتداول أنها مجرد أذن أو إباحة، فليس وارداً في منطق الحق أن تتلخص رسالة الإسلام التحررية التي حملها إلى البشر من أول الخليقة آلاف من الأنبياء والرسل فضلاً عن خلفائهم في الإعلان العام للناس (أن الله يأذن لكم أن تفعلوا ما تشاؤون). كلا بل إن شعار تلك الرسالة على النقيض من ذلك تماما، أن الله خالقكم ينهاكم أن تتبعوا أهواءكم وجهالاتكم ويأمركم أن تتبعوا ـ عن وعي وإرادة وقصد خالص ـ النهج الذي ارتضاه لحياتكم، ففيه وحده سعادتكم ورقيّكم في الدنيا والآخرة، وفي التنكب عنه الشقاء الأبدي.

إن الحرية في المجتمع الإسلامي أمانة، أي مسؤولية ووعي بالحق والتزام به وفناء فيه ـ نعم إن الحرية بالمعنى التكويني هي إباحة واختيار، فقد اختصنا الله بخلقه تحمل القدرة على فعل الخير والشر.. وكانت تلك مسؤولية، أما بالمعنى الأخلاقي أو التشريعي، فالحرية أن نمارس مسؤولياتنا ممارسة إيجابية، أن نفعل الواجب طوعا.. بإتيان الأمر واجتناب النهي ـ فنستحق درجة الخلفاء

وأولياء الله الصالحين.. وإن جملة مواقف مفكري الإسلام حول الحرية تدور حول هذا المعنى. ولعل أفضل من بلور مفاهيم الحرية في الإسلام من المفكرين الإسلاميين المحدثين العلاّمة المغربي المرحوم «علالة الفاسي» والكاتب المبدع «حسن الترابي».

ذهب الأستاذ الفاسي إلى أن الحرية «جعل قانوني وليست حقاً طبيعياً، فما كان الإنسان ليصل إلى حريته لولا نزول الوحي.. وأن الإنسان لم يخلق حراً وانما ليكون حراً.. إن الحرية كدح ونضال في طريق عبودية الله وليست انطلاقاً حيوانياً.. ولقد تعجب الأستاذ الفاسي كيف أن علماء الإسلام لم يفطنوا في آية البينة (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البيّنة..) إلى هذا المعنى اللطيف إلى أنه لا سبيل للانفكاك والتحرر إلا بمنهج العبودية لله، منهج التكاليف، الأمر الذي يجعل الحرية خلقاً ذاتياً تتجلى آثاره في أعمال الإنسان الصادرة عن شعوره بالتكليف.. إن الإنسان الجدير بصفة الحر هو المؤمن بالله.. وإنّ التكليف هو أساس الحرية وعلامتها.

وإلى قريب يذهب الأستاذ الترابي إلى أن الحرية هي قدر الإنسان الذي تميز عن كل مخلوق سواه فسجد لله طوعاً إذ لم يجعل الله في تركيبه ما يجبره على الإيمان ولا سمح له أن يجبر غيره على الايمان.. إن الحرية ليست غاية بل وسيلة لعبادة الله، وان هذه العبودية لا تثير شعوراً بالمجانية لأنّ المؤمن يعبد الله بدافع المحبة والإجلال واستشعار النعمة الدافعة إلى الشكر، الأمر الذي يجعل الحرية الوسيلة والثمرة لعبادة الله. ولئن كانت الحرية في وجهها القانوني إباحة فإنها في وجهها الديني طريق لعبادة الله فواجب على الإنسان أن يتحرر لربه مخلصاً في اتخاذ رأيه ومواقفه.. وهذه الحرية في التصور الإسلامي مطلقة لأنّها سعي لا ينقطع نحو المطلق.. وكلّما زاد إخلاصاً في العبودية لله زاد تحرراً من كل مخلوق في الطبيعة.. وحقق أقداراً أكبر من درجات الكمال الإنساني.

في الختام جاء الإسلام بقيم سياسية ومبادئ عامة كالشورى، وما يعني ذلك من اشتراك الأمة في الحكم، وانبثاقه عن إرادتها وقوامتها على حكامها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد يتم تفعيل هذه القيم بصيغ حديثة ابتدعها الغرب كالانتخاب والالتزام برأي الأغلبية، والتعدديّة، وكما نشأت ديمقراطيات مسيحية واشتراكية يمكن أن تنشأ ديمقراطية إسلامية.

الشهداء

■ مثنى مهيدي

في مترجمة الشهداء لمصطفى لطفي المنفلوطي.

تناجي أمٌ ثكلى ولدها الغائب عنها في أحد السجون. فتبكي وتقول:

في أي بطنٍ من بطون الأرض مضجعك يا بني؟

وتحت أي نجمٍ من نجوم السماء مصرعك؟

وفي أي قاع من قيعان البحر مثواك؟

وفي أي جوف من أجواف الوحوش الضارية مأواك؟

لو يعلم الطير الذي مزّق جثّتك. أو الوحش الذي. ولغ دمك. أو القبر الذي ضمّك إلى أحشائه.

أو البحر الذي طواك في جوفه. أن وراءك أُماً مسكينة تبكي عليك من بعدك.

لرحموك من أجلي؟

عد الي يا ولدي فقيراً. أو مقعداً أو كفيفاً. فحسبي أن أراك بجانبي في الساعة التي أفارق فيها هذه الحياة..

لأقبّلك قبلة الوداع. وأعهد إليك بزيارة مضجعي مطلع كل شمس ومغربها.

لتخفّف بزورتك عني ضمة القبر. وتستنير بوجهك الوضّاء. ظُلماته الحالكة.

ما أسعد الأمهات اللواتي يسبقن أولادهن إلى القبور.

وما أشقى الأمهات اللواتي يسبقهن أولادهن اليها.

وأشقى منهن. تلك الأم المسكينة. التي تدب إلى الموت دبيباً.

وهي لا تعلم. هل تركت ولدها وراءها. أو أنها ستجده أمامها..

الفنان: عماد أبو شتية | أم الشهيد

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان

1994 - 1991

اليوم الواحد والعشرون 21 / 2

نستيقظ وننام ونحن نسمع الأخبار، وأخبار الطرفين، باعتقادي تدخل في عداد الأخبار النفسية، وهي ليست حقائق، فيها نسبة من الحقائق، وفيها نسبة كبيرة تدخل في عالم الحرب الدعائية، وهكذا نمضي مع هذه الأخبار في التحليل والانفعال والترقب والاصطدام، كما نؤنب بعضنا في هذا الجو الحزين والمظلم واليائس البعيد عن العلاقات الطبيعية.

جاءت زيارتان من السلمية لمحمد الحموي ولظافر النجار، الأول كان يعمل معلماً ابتدائياً، وهو خريج دار المعلمين والثاني كان مدرساً للغة العربية، وهو خريج كلية الآداب جامعة حلب، وقد جاءت والدة وزوجة كل منهما.

بعد الظهر احتدم النقاش في المهجع بين الرفيق مالك حسن، وهو معلم ابتدائي من ريف الدريكيش يقرأ كثيراً وخاصة الكتب الفكرية، ويصبو أن يكون محللاً سياسياً، وبين الدكتور منذر خدام من قرية، مزار قطربة، التابعة للاذقية وهو دكتور في الزراعة وخريج بلغاريا، ويدرّس في جامعة المحافظة. النقاش احتد حول حرب الخليج، والسؤال الذي طرحه الدكتور منذر هل هذه الحرب على أميركا والنفط العربي وهل يجب أن يبدأها العراق باحتلال الكويت؟ مواجهة أميركا لا علاقة لها باحتلال الكويت وتهديد السعودية، وحتى مع إسرائيل يجب تأجيل المواجهة، صدام حسين مغامر ولا يمكن أن يكون صاحب مشروع، أما الرفيق مالك فيعتبرها حرباً تحريرية وعادلة وقومية ووطنية، وقد تدخل البعض لمنع النقاش وتحوله إلى شجار.

اليوم الثاني والعشرون 22 / 2

يصادف اليوم عيد الوحدة، أما هذه الوحدة غير موجودة على الأرض وبالمرصاد لها ملوك الطوائف وأميركا وإسرائيل. الوحدة قوة وهذا لا يناسب أميركا ولا إسرائيل. فالجامعة العربية وهي من أدوات توحيد العرب لا تعمل بشكل صحيح، لأن الحكام العرب ضد أدائها وضد وجودها. لقد تعززت وحدة فرنسا منذ قيام ثورة 1789، وتوحدت انكلترا بشكل أساسي منذ ثورة كرومر في منتصف القرن السابع عشر، بل منذ معركة الأرمادا 1588، كما بنت روسيا وحدتها وإمبراطوريتها منذ وفاة بطرس الأكبر عام 1625، وحافظت ثورة لينين 1917 على هذه الوحدة وعلى هذه الإمبراطورية ووسّعتها. وفي عام 1948 انتصرت ثورة ماوتسونغ وتوحدت الصين وتم طرد الاستعمار. وعندما انتصر هوشي منه وجياب على الإمبرياليين توحدت الفيتنام في السبعينات من هذا القرن. أما في الولايات المتحدة فإن الحرب الأهلية بين الشمال الصناعي والجنوب الزراعي وتحرير العبيد بين 1862 و1866 أصبح السبيل ممهداً أمام توحيد البلاد اقتصادياً وجغرافياً واجتماعياً، رغم وجود الأعراق واللغات الشتى، ولم يأت عام 1870 إلا وتوحد الألمان والطليان. وبعد الحرب العالمية الثانية حققت شعوب أوروبا الشرقية وحدتها كما عادت الوحدة الألمانية للتحقق بعد هدم جدار برلين 1989، وسقطت العقائد التي تفرق القومية.

أما الوطن العربي صاحب اللغة الواحدة فممزق، ومزرعة لإسرائيل بفضل أوروبا، ودعم أميركا في نقطة تفصل الشمال الأفريقي عن الغرب الآسيوي.. كل الأنظمة السياسية المتربعة على كراسي الحكم في هذا الوطن تبدو هزيلة ومنكفئة وغير مستقلة وتابعة، وليس لديها قدرة لقيادة مشروع جدّي يخترق الحدود ويواجه "إسرائيل" المزروعة عنوة في أرض فلسطين.

اليوم الثالث والعشرون 23 / 2

أكتب هذا اليوم والساعة تقترب من الخامسة مساءً، ضوء النهار يبدو من كوة باب المهجع. فالمرء الذي يقف أمامها يرى من شبابيك الممر الغيوم البيضاء في السماء الزرقاء، ويرى صفاء المساء ويحسُّ بهدوء الأبعاد.. كم يشعر المرء بالحزن وهو يضاف إلى حزن المساء.. فالمساء دوماً حزين. فكيف هو بالسجن وبعد مضي تسع سنوات؟

أحد رفاقنا من المهجع الثالث (نحن المهجع الخامس) خرج من مهجعه أثناء إدخال بعض الحاجيات إليه من قبل العسكري، وبيده صفيحة لملئها بالماء. فقد قطعوا عنّا المياه منذ حرب الخليج لزيادة إرباكنا وحرماننا خوفاً من التحرك والإضراب. مما دفع العسكري إلى دفعه، ولكنه استطاع الوصول لباب الحديد الذي يؤدي إلى الجناح، مما دفع العسكري لاستدعاء رقيب الانضباط، الذي غضب وأرسل الرفيق حامل الصفيحة البلاستيكية إلى الزنزانة تحت الأرض بما يقرب العشرين درجة، مع إضاءة سيئة، ووحدة قاتلة ورطوبة عالية، وعدم وجود تدفئة، فمن هو هذا الرفيق؟.. أنه عادل إسماعيل من ناحية الشيخ بدر، وهو ضابط مهندس برتبة رائد خريج مصر، وهو على الأغلب من مواليد 1949 متزوج وله ثلاثة أولاد، وزوجته موظفة ومقيمة في حمص محل عمل زوجها. هو معتقل منذ عام 1979، وكان قبل سجن صيدنايا في سجن المزة، وجاء إلى هنا مع مجيئنا عام 1987، هادئ ورزين ومتماسك وقليل الكلام، وله بعض التصرفات المرحة.

اليوم الرابع والعشرون 24 / 2

لا أدري إذا كانت قد بدأت الحرب البرية أم لا.. هناك صمت وغموض يلف الموقف، هناك إحساس عاطفي يقف إلى جانب الجيش العراقي، دون إدراك حجم البوارج والغواصات التي تضرب من البحر الأحمر أو المنتشرة في مياه الخليج، أو المدفعية بعيدة المدى الموجوده على أرض الخليج، وأرض السعودية ودقة الإصابات بالليزر والأقمار الصناعية، وهي التي تحاول رصد تحركات صدام حسين، وفي أي ملجأ موجود.. إن صدام حسين لم يكن ضد أميركا ولكنه تمرد على أوامرها. هذا كاسترو في خاصرتها ويواجهها منذ عقود ويخضع للعقوبات، وكاسترو يعارض الديمقراطية على الطريقة الأميركية، بل ولا يقبل بالديمقراطية، ويحكم بلاده منذ قرابة الثلاثين عاماً، ولكنه لا يحمل رصيداً في البنوك الأجنبية، ولا يبني قصوراً، ولا يمسك بمعارضيه ويقتلهم بيديه. صدام حسين أوْكَل لأخيه برزان إدارة تحويلاته في أوروبا، وصدام حسين له ولدان أشبه برؤساء العصابات.. قتلة ومجرمون، ولهم جيوش من المريدين واللصوص، فهل نغمض عيوننا عن كل ذلك لنقول: أن العراق الآن بقيادة صدام حسين يخوض حرباً ضد الإمبريالية العالمية، فهل هو ستالين؟.. الذي واجه هتلر والغزو النازي، وحصار لينينغراد بتنمية الصناعات الحربية من الدبابة إلى المدفع إلى الطائرات إلى الصواريخ. ماذا عند صدام حسين سوى الكلام والعنجهية والقتل. البعض يعتقد أن حاكم العراق هو المحرر والمنقذ وأن الملك الأردني قد استيقظ ضميره وقد نسينا من هو جده؟ وكيف انتهت هذه العائلة التي قادت البلاد والعباد إلى المهالك؟

صاحب الألف لحن
محمد محسن (الناشف) 1922 - 2007

■ ياسر مرزوق

ولد محمد محسن في حي قصر الحجاج بدمشق عام 1922 واسمه الحقيقي محمد أحمد الناشف. تلقى علومه في مدرسة صلاح الدين الأيوبي الابتدائية، ومدرسة التجهيز الثانية "أسعد عبد اللّه"، ونال الشهادة الإعدادية، وتعلم الموسيقى، والعزف على العود على يد الموسيقي صبحي سعيد. وبدأ مسيرته الفنية مطرباً. ولحن له أستاذه صبحي سعيد أولى أغنياته "أحلى يوم عندي قربك". وعند افتتاح إذاعة دمشق الأولى في مطلع الأربعينات، انضم إليها مطرباً بمساعدة صبحي سعيد الذي كان عازفاً على العود في فرقتها الموسيقية. ولحن له في تلك الفترة مصطفى هلال عدة أغنيات منها (لقاء)، (أيمن كأسي). ثم بدأ التلحين لنفسه. ومن هذه الألحان (يم العيون الكحيلة)، (الليلة سهرتنا حلوة الليلة).

كان رفيق شكري واحداً من تلامذة صبحي سعيد، وعمل معه في الإذاعة ضمن الغرفة الموسيقية التابعة له، مغنياً لأغان قديمة، لحن له محسن خمس أغنيات منها (نشوة لقاء) لينطلق بعدها إلى التلحين، فلحن لنفسه29أغنية، ليتوقف بعدها عن الغناء معترفاً بأن صوته غير قادر على منافسة الأصوات الموجودة في تلك الفترة على الساحة المحلية والعربية، ليستمر بعدها وينطلق في تيار التلحين في الأربعينيات من القرن الماضي، وكان أول ألحانه لغيره (أنا شمعة)، وغنتها المطربة ناديا. أما ثاني ألحانه فكان للمطربة الكبيرة ماري جبران وعنوانها (يا محيرني). وثالث ألحانه (دمعة على خد الزمن) غنتها تغريد محمد ثم سعاد محمد. ونالت هذه الأغنية شهرة واسعة. وصارت مطربات دمشق يغنيها. والملحن لم يتقاض أي أجر على اللحن.

عندما توقفت إذاعة دمشق عن البث عام 1945 سافر إلى القدس، وتقدم إلى إذاعتها، وتم قبوله مطرباً وملحناً، وخصص له في الإذاعة أربع حفلات شهرياً. وخلال عمله في الإذاعة تعرف على الموسيقي الفلسطيني حنا الخل، وتلقى منه دروساً في العلوم الموسيقية والتدوين الموسيقي، لتكتمل بذلك معارفه الموسيقية الضرورية للملحن. واستمرت إقامته في القدس ثلاث سنوات، لحن خلالها لعدد من المطربين الفلسطينيين مثل محمد غازي ومكاوي وفهد نجار.

بعد توقف إذاعة القدس عام 1948، عاد محمد محسن إلى دمشق ليبدأ مرحلة جديدة في إذاعتها. اكتشف في بدايته الفنانة الصاعدة في تلك الفترة المطربة سعاد محمد، فقدم لها لحنها الشهير "دمعة على خد الزمن" الذي نجح نجاحاً عظيماً أدخلها عالم الشهرة من أوسع أبوابه ثم قدم لها لحن (زمان الوفا)، ولحنها الاشهر (مظلومة يا ناس)، والذي جعلتها المطربة الأشهر في سوريا ولبنان. وكذلك لحن لها أغنية(جلوّنا الفاتحين) التي غنتها في احتفال رسمي أقيم بمناسبة عيد الجلاء. وبلغ عدد الألحان التي قدمها للفنانة الكبيرة سعاد محمد (17) لحناً. وفي عام1951 ترك دمشق ليعمل في إذاعة الشرق الأدنى كمراقب للموسيقى والغناء لمدة عامين. ليلحن لعدد من المطربين الفلسطينيين، مثل: محمد غازي، وماري عكاوي، وغيرهم. وفي عام 1959 استقر في مصر ليعمل في إذاعة القاهرة كمشرف عام على الدائرة الموسيقية، وقام بالتلحين لعدد كبير من المطربين. ملحناً للمطربين الذين تعتمدهم الإذاعة حتى عام 1963، حيث استقر في لبنان حتى قيام الحرب الأهلية حيث عاد إلى دمشق عام 1975.

خلال عقد الخمسينات من القرن الفائت، قدم محمد محسن للساحة الغنائية بألحانه مطربتين، أصبحتا فيما من نجوم الغناء العربي. الأولى فايزة أحمد التي جاءت من حلب إلى دمشق في مطلع الخمسينات، وكانت تؤدي أغنيات أم كلثوم وأسمهان وليلى مراد.

وعندما استمع إليها محمد محسن أدهشه صوتها، فلحن لها عدد من الأغنيات كانت جواز سفرها إلى القاهرة. من هذه الأغنيات (درب الهوى)، (ليش دخلك)، (ما في حدا يا ليل)، والابتهال الديني (يا رب صل على النبي)، ثم لحن لها في القاهرة أغنية (شفتك يا سمارة). وبلغت ألحانه لفايزة أحمد عشر أغنيات وحواريتين مع عزيز شيحا.

أما المطربة الثانية التي اكتشفها فهي وردة الجزائرية التي جاءت إلى بيروت عام 1957، وكانت تؤدي أغنيات أم كلثوم في ملاهي باريس، واشتهرت بأغنية (يا ظالمني). وفي بيروت استمع إليها محمد محسن فأعجب بصوتها، وكان أول من لحن لها. (دق الحبيب دقه)، لحّن لها مجموعة من الأغنيات، هي(قالوا لي ظالم)، (مش قادرة)، (على بعدك)، (انت وقلبك)، (مراسيل من ريحة الحبايب)، (ولو لا طله ولا زيارة)، (يا أغلى الحبايب على قلبي أنا)، (وفر مراسيلك)، (وحيدة في دنيتي)، (تكذب علي)، (على باب حارتنا يما أسمر يا روحي عليه)، والأغنية الدينية (منار الهدى)، والأغنية الوطنية عن الجزائر (أنا من الجزائر). وأتبعها في القاهرة بأغنية (روّح يا هوى)، ليبلغ العدد الكلي لألحان محمد محسن لوردة خمس عشرة أغنية.

وأول ألحانه لها (دق الحبيب دقة)، ثم أتبعها باثني عشرة أغنية أخرى منها (على باب حارتنا يما)، (يا أغلى الحبايب) وآخرها في مصر (روح يا هوى).

طوّر محمد محسن الموشح وعالجه بالأسلوب الحديث الذي جمع فيه بين الأسلوب الحلبي، والأسلوب المصري، فعمل على تقصير ترديد المجموعة، واختصار ترديد الآهات.

لم يلحن لفيروز من خارج لبنان إلا ملحنين اثنين الأول مصري وهو الموسيقار محمد عبد الوهاب، والثاني سوري وهو الملحن محمد محسن، أعطى محمد محسن للسيدة فيروز خمسة ألحان جميلة وعلى مستوى عال وراق: سيد الهوى قمري، سنة 1971، جاءت معذبتي، ولي فؤاد، لو تعلمين، أحب من الأسماء، سنة 1996

وفي الأشهر الأخيرة من حياته حنّ إلى التلحين، فلحن قصيدة "تقول غداً"، وسجلها في المنزل بمرافقة عوده إلا أنه لم يعطها لأحد من المطربين. ورحل عن عالمنا في يوم 13 / 2 / 2007 ودفن في مقبرة باب الصغير بدمشق.

رحل محمد محسن عن عمر يناهز الثامنة والثمانين بعد رحلة طويلة من العطاء الفني والإنساني أثرى من خلالها المكتبة الموسيقية العربية بألحانه الكثيرة والمتميزة، استطاع من خلالها إثبات وجوده الفني، في ظل وجود عدد كبير من كبار الملحنين العرب. ومن أشهر ألحانه نذكر:

(حاضرنا وماضينا - دمعة على خد الزمن - جلونا الفاتحين - مظلومة يا ناس - زمان الوفا) لسعاد محمد، (أغلى الحبايب - على باب الحبايب - روح يا هوى) لوردة، (الليلة سهرتنا حلوة) لنجاح سلام، (ابن الأحزان - التوتة) لنازك، (سيد الهوى - لي حبيب - جاءت معذبتي - أحب من الأسماء) لفيروز، (النجمات صاروا يسألوا) لوديع الصافي، (سلم على الحبايب - طق ودب - حبيبتك لالا) لصباح، (ابحث عن سمراء) لمحرم فؤاد، (عهد اللّه) لمحمد قنديل، (ياعيني على الألم - كيف نسيت - أدري وأنت مش داري) لنجاة، (حبي الكبير) لنور الهدى، (ياوابور الساعة12) لمحمد رشدي، (يا مسافر) لطلال المداح، (طل الحليوة - اه يازين) لشريفة فاضل، (خاصمتني عيني) لمحمد عبده، (سيبوه لوحده) لعادل مأمون، (ليش دخلك - درب الهوى) لفايزة أحمد، كما لحن لنصري شمس الدين وفهد بلان وصباح فخري ومحمد غازي وسميرة توفيق ومحمد عبد المطلب وطروب وفدوى عبيد وماري جبران وغيرهم.

المادة العلمية عن كتاب الباحث الموسيقي أحمد بوبس "محمد محسن".

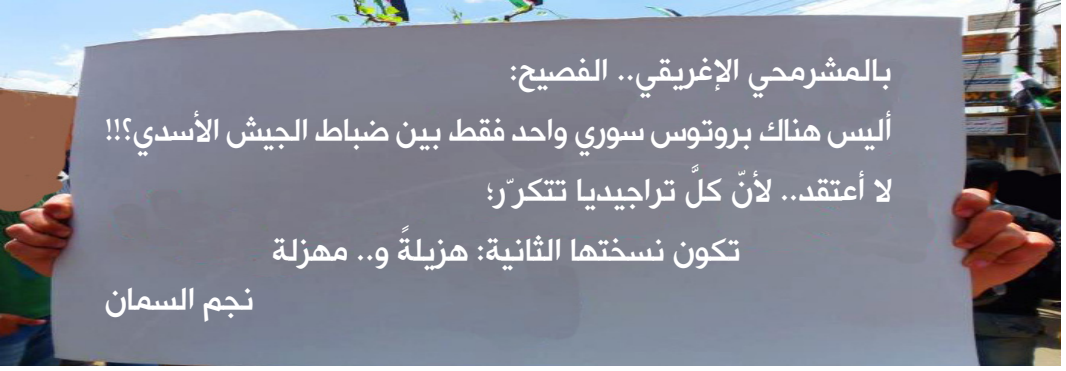

دارا العبد الله

إذا كان الجيش الحر قد وصل إلى مرحلة قد اخترع فيها الأسلحة الكيماوية حسب منذر خدام، فهذا بالنسبة لي تطوّر مهم، لأنها دلالة هامة على درجة تطوّر البحث العلمي(على عكس ما يشاع بأنهم سلفيون إرهابيون متطرفون)، بالإضافة إلى اكتساب مقدار من التفاؤل حول مستقبل سوريا الصناعي، تحيّة إلى علماء الكيمياء الحيوية في الجيش الحر.

يامن حسين

أفضل طريقة لتفادي الكيماوي: ارفع إصبعك الوسطى بوجه العالم وأصرخ: الموت ولا المذلة..

سعاد جروس

صار لازم نمنح عزرائيل الجنسية السورية.. لأنه ماحدا قده حب سوريا وأهلها..

محمد الخالد

بعد كل مجزرة، الطاولة بتتعبى خيارات للتدخل العسكري في سورية، والخوف من الأميركان بيزيد أكتر من الخوف من المافيا الروسية، وهدول التنين بكف، والحمار الي بيطبل وبيزمر لهاد الكذب بالكف الثاني..

قصي زهر الدين

دمشقُ صلاةٌ..
ترفعها الأصابعُ خبزاً لمائدة السماء..
يلوكهُ الأمواتُ قداساً.. قداساً لأرواحنا.

عمر قدور

السكوت عن المجزرة ليس رأياً آخر: كل من يسكت عن مجازر النظام اليوم هو مشارك في الجريمة.. كل من يبقى موالياً بعد الآن هو مشارك.. كل من يتلطى تحت عنوان «الرأي الثالث» هو مشارك..

ميس قات

وقت يبكوا الأطباء الميدانيين أثناء تأدية عملهم.. فيك تتخيل حجم الكارثة بدون ما تشوف الضحايا..

محمد زيدان

يكتر خير إسرائيل اللي دمّرتلنا المفاعل النووي بدير الزور..

صبحي عزوز

الجيش الوحيد الذي لم تتلطخ يداه بدماء شعبه في منطقة الشرق الأوسط هو الجيش الإسرائيلي..

عروة النيربية

لا وقت عندنا لمساعدتكم، أحبتنا في الحصار.. عنا شغل.. ببعض، منحاكيكن بس نفضى.. بس شو بدي وصيكن؟ تطرف بلا.. زكاة عيونكن!

رامي عيسى

سيادة الطبيب لقد نجحت العملية، ولكن مات المريض بالعلاج الكيميائي..

سنحاريب العلي

الآلهة خصصت ملاك مرافق لعزرائيل؛ (اختصاص شماتة) بيوزع بقلاوة تازا!.. يا ولاد البقلاوة!..

علي الزين

إلى الأطراف المتنازعة في لبنان، مصر وتركيا: "أوقفوا القتل نريد أن نبنى وطنا لكل السوريين"..

رزان زيتونة

ابني اغسل أسنانك واذهب إلى سريرك فقد تأخر الوقت. ولا تشرب الكثير من الماء قبل النوم! وإذا سمعت هدير الطائرة انزل إلى القبو، وإذا شممت رائحة غير طبيعية اصعد إلى السطح، وإذا لم تجد الوقت كيف تفعل أي شيء، فاعلم أني أحبك كثيراً، لكن ليس باليد حيلة. العالم قذر ومتوحش. ستفهم يوماً حين تكبر، إذا أتيح لك أن تكبر!..

عماد الزير

في الغوطة
طفلٌ يشبهني مرّ باستحياء
اتخذ من أماكن سقوطهم سريراً
كان يدرك أن الأرض تحتفظ بذواكر الأطفال
و تمنحها لأول وافدٍ يحمل الياسمين.. في عينيه
كان يدرك أن الأرض تعيد بعث من غافلة الموت
و هو يحلم بوطنٍ
يصلح للحياة.
في الغوطة
كانت أمي تجدل ضفائر جبيبتي
تجمع أختي القصائد كحلا
فيما كان أخي يحرس مكان موتي.
في الغوطة
مُتُّ وحيداً
و الياسمين أصبح تحت تراب يتفتت.

ياسين الحاج صالح

ولا يستحق التشكك بأن النظام هو مرتكب المجزرة أي نقاش، إلا من زاوية دلالته على أن للمجرم العام شركاء معنويين، فاشيين صغاراً، ممن يعبدون البوط العسكري وينصبون له التماثيل، أو شركائهم الإيديولوجيون الذين لا يكفون عن إضفاء صفة نسبية على جرائم النظام بالإحالة إلى جرائم أخرى. هذا نهج شائع في سورية، والغرض منه إضاعة مبدأ المسؤولية (كلنا مسؤولون) وتقويض مبدأ الحقيقة (لكل حقيقته).

فادي جومر

ومسكني من إيدي متل الولد.. وقلي: « لك أبو جومر ولاه.. مو أنت كتب هي.. وهي.. وهي.. مو أنت؟ كنت عم تكذب علينا شي؟ اقعد لشوف بدنا نشتغل.. ما في أسهل من النوح والبكي»..
وأنا رد كل جواب بيحبط صفوت الزيات.. وهو صامد.. هيبيبيك لرجعني أكتب.. أكتب شي لبكرا.. لسوريا اللي عم تقوم من جروحها.. خاطر ضوا.. شكراً إلك.. شكراً وبس.

حنان معروف

لا تنفسوا ما يعتمل في صدوركم على هذا الفيس بوك اللعين.. نريد صراخا يصم آذان هذا العالم الساقط.. غضبا يزلزل الأرض تحتهم.. كفى تخاذلاً أيها السوريون.. كفى!.. نحن لسنا جديرون بالأطفال ولا بالكرامة ولا بشيء؛ إن مرت هذه المجزرة كغيرها.. ساحات العالم بانتظارنا.. وإلا فلنمت جميعاً كالبعير كما يليق بذلنا!..

نشوان أتاسي

تمت تبرئة اليهود من دم السيد المسيح بعد 1960 عاماً من صلبه.. بعد الشكوك "المتزايدة" حول من استخدم السلاح الكيميائي في الغوطة، ليس بغريب صدور صك تبرئة دولي للنظام، وبقرار من مجلس الأمن، من دم محمد عمران وسليم اللوزي، وكمال جنبلاط والمفتي حسن خالد، وبشير الجميل ورينيه معوض، ومجزرة تل الزعتر 1976، وجسر الشغور 1980، وتدمر 1980 وحماه 1982، وطرابلس 1983..

المجزرة لم تقع بالنسبة إليهم، فهم لم يعرفوا صديقا من الريف يوماً، لم يدخلوا الغوطة بقلب المحب، ولم يدركوا تفاصيلها، ورائحة منازلها، وبساتينها..

المجزرة لم تقع، إنهم مجرد بعض الأطفال يلتقطون صوراً تذكارية ليرسلوها لنا في العيد المقبل بالتّعاون مع خبراء في الفبركة، لمداعبتنا والترويج عنا..

المجزرة لم تقع، والدليل كلام وزير الإعلام!!

بل وقعت ربما، هكذا قالت روسيا الحنونة بعده بساعات!!

حقيقةً، الأمر لا يتجاوز أن بعض الأهالي أحبّوا حقن أولادهم بالسارين الفائض لديهم، والذي تشتهر به الغوطة عالمياً، ليقوموا بتجربة علمية جديدة حتى أنهم كانوا قد امتنعوا عن الغذاء بشكل كافٍ وصناعة الخبز بسبب انشغالهم بصناعة السارين، وليس للأسباب التي كانت تشاع عن شح في الغذاء، أو أي شكل من أشكال الحصار، أو ربما كانوا يخططون للقيام بعملية انتحار جماعي بسبب البؤس الذي يعيشونه، علهم ينتقمون من أعدائهم بموتهم..

نعم وقعت، هكذا تقول شبكات الأخبار الموالية في ردة فعلها الأولى على الخبر، غير مكترثة ببيان الجيش ولا ببيان وزير الإعلام، وهي تهنئ الوطن بأن الكيماوي قد استشاط وأخيراً، ويهلل مريدوها للحل الذي اقترب، ولعاصمة قد تغدو بلا ريف..

هذا الريف الذي خرب عليهم حياتهم وتسكعهم، ودمر البلد بحسب قولهم، وقد استحق أبناؤه هذا المصير..

لا ليس كيماوياً هذا السلاح، نحن نعرفه جيداً، كل السوريين خبراء في أنواع الغازات، وحركة الرياح، والاحتباس الحراري، والانشطار الذري، والشرق الأوسط الجديد، والمؤامرة الكونية..

المجزرة «مزعومة» بحسب دول العالم التي تتدعي صداقتها للشعب، مزاعم تدعو للقلق..

وللأسف، لاشيء حقيقي بقدر هذه المجزرة، بقدر أصوات أصدقائنا التي سمعناها تئن من هناك طالبة العون بأي طريقة وإن كان بنشر خبر، بقدر صديق كان يحدثني بعدما انتهى من إحصاء ما استطاع من الجثث عن وصيته أن سقط في آخر النهار. بقدر صديق آخر كان يرتجف وهو يصور بعدسته كل ذلك الألم، بقدر كل هذه الضحايا وكل تلك الطفولة التي انتهكت ألف مرة بعد الموت بتحليلات مسفة ومعيبة بحق إنسانيتهم وما تبقى من إنسانيتنا جميعاً..

المجزرة وقعت.. بالكيماوي مرةً ربما، ولكن بحقدكم ألف مرة..

المجزرة وقعت.. والعالم سقط من بعدها..

رند صباغ

غرافيتي على أحد جدران حلب | للفنان خليفة الخضر

النحـــات

مكث المسـافر في قرية تقبع شـمال أرض المهد لحقبة من الزمان أو ربما مكث حتى آخر الأزمان. كان يمضي معظم الوقت ليلاً ينظر إلى قمرها الخـلاب، فلـم يكن بدراً أو هلالاً بل كانت أشـكاله تتبدل فـي كل ليلة إلى منحوتة جديدة نحتت بإبداع وإتقان. لم يكن يعلم المسـافر في بادئ الأمر كيـف لقمرها أن يتقلب في صـوره إلى أن التقى بذاك الفتـى البداع. فتى يصعـد في كل ليلة إلى القمر عبر سـلم صنعه بنفسـه، ثـم ينحته بيديه ويتفنن في تكوين صورة بهية له. ولم ينسـى المسافر ما تحدث به وجدان ذاك الصغيـر حينمـا رآه فـي ذات ليلة وهو يفرك يداه المتسـختان لما نزل سلمه. لقد قال: «الفن يسمو بالفكر عند البشر ويحفظ الإنسان إنساناً».

سوريا / ريف حلب / 2012

نصوص وتصوير: باسل حسو

دقق النص: سيما نصار

كاريكاتير العدد | الفنان عبد المهيمن بدوي

البحث عن "الأحبة" بين وجوه المقابر الجماعية

• رزان زيتونة

أحاول استرجاع تفاصيل ذلك اليوم ببطء شديد علّي أنفجر بالصراخ والنواح كما يفترض بشخص "طبيعي" أن يفعل. يرعبني الخدر الذي أحسه في صدري، والضباب الذي يلف الصور المتلاحقة في ذهني. ليس هكذا تكون ردة الفعل بعد نهار حافل بالتعثر بالأجساد التي صفت إلى جانب بعضها البعض في الردهات الطويلة المعتمة. لفت بالأكفان البيضاء أو البطانيات القديمة، لا يظهر منها إلا وجوه مزرقّة، ورغوة جمدت على زوايا الأفواه، وأحياناً خيط من الدماء يختلط بالزبد. على الجبين أو على الكفن، كتب رقم، أو اسم، أو كلمة "مجهول".

في كل نقطة طبية على امتداد بلدات الغوطة التي استقبلت الشهداء والمصابين، الحكايات نفسها تتكرر والصور نفسها. وجوه من بقي صامداً من المسعفين الذين لم ينج معظمهم من التأثر بالغازات السامة، يروون مرة تلو الأخرى، كيف قاموا بخلع الأبواب ودخول المنازل ليجدوا الأطفال نائمين في أسرّتهم بهدوء وسكينة لن يستيقظوا منها أبداً. معظم الأطفال ماتوا وهم يحلمون. قليل منهم وصل للنقاط الطبية وتمكنوا من إسعافه. الرحيل الجماعي للعائلات هو الصورة الأكثر إلحاحاً. الأم والأب وأطفالهما. نقلوا من أسرّتهم إلى قبور جماعية ضمت رفاتهم.

في إحدى مقابر زملكا، كان الأب يقف على قبر طويل يبدو بلا نهاية. هنا دفنت زوجته وطفله. وإلى جانبهما عائلة فلان، وعائلة فلان. وفكرت، إن كان بينه وبين نفسه يحسد العائلات التي ذهبت بجميع أفرادها إلى تلك القبور الضيقة ولم تترك وراءها من يعيش ألم الفقد.

ولا تزال أصوات الاشتباكات قريبة جداً وعلى أشُدّها. ولا أحد من الحاضرين يكترث، وهم منهمكون في الحفر وإهالة التراب على الأحبة. مشرف الدفن يشرح كيف تتلاصق الجثامين التي بلغ تعدادها 140 في هذه المقبرة الصغيرة. صوّر صوّر، يقول. هنا آل فلان، ويقوم بتعداد أسماء أفراد العائلة، وهنا آل فلان.. ونحن ننظر وكأننا يجب أن نرى العائلة ونلقي التحية على الوالدين ونداعب الأطفال، لكننا لا نرى إلا تراباً غير مستو وبضعة أغصان جافة من نبات الآس رميت فوقه كيفما اتُفق.

في ردهات تجميع الجثامين في كل بلدة، تجمع الأهالي للبحث عن أبنائهم. تدخل سيدة مسنّة وهي تتوسل للموجودين أن يرشدوها إلى جثمان أبنائها وإخوتها إن كانوا قد استشهدوا. يساعدها الشبان في رفع الغطاء عن وجوه صف الشهداء المجهولين الذين ينتظرون من يتعرف إليهم. شهيداً تلو الآخر تمر عليهم. تشهق لدى رؤية أحدهم، ثم تتمالك نفسها وتقول ليس هو. تنتهي من البحث، وتنطق بالحمد بصوتها المتهدج لأن احتمالات موت أحبتها قلت بمعدل نقطة طبية واحدة. في الأغلبية العظمى من الحالات، تفرق أفراد العائلة بين النقاط الطبية على امتداد الغوطة.

ومن شفي منهم واستعاد قواه، بدأ رحلة البحث عن عائلته من بلدة إلى بلدة. كان الجميع غاضبين، بالكاد يتمالكون أنفسهم قبل أن ينهاروا بالبكاء. كلما فشلوا في العثور على أحبتهم في الردهات بين المصابين والشهداء، أو في قوائم الأسماء التي تمكن الإداريون من تسجيلها. حال المصابين ليس بأفضل كثيراً، خاصة الأطفال. بمجرد التوجه بكلمة للطفل يقلب شفتيه الصغيرتين ويحاول كبت صوت بكائه وكأننا سنعاقبه إن جاهر بقهره ولعن العالم بمن فيه. يبدأ بالسؤال عن والديه ولا أحد يملك الجواب. لا أحد يقوى على الجواب.

لا أحد أصلاً يستوعب كل مايحصل فعلاً. هذه بلاد العجائب والصدف التي لا يفترض أن تحصل بشكل متواتر وتنقل إلى اعتياد. إلى جانب إحدى النقاط الطبية وقف شخص وهو يبكي ويلوح بيديه. قال أنه أنقذ ثلاث سيدات إلى المشفى، في الطريق وبسبب الاستعجال والارتباك دهس شخصاً فقتله، وعندما وصل إلى المشفى ركن شاحنته الصغيرة أمامها بانتظار أن يبت بأمره بخصوص الشخص الذي دهس، وبعد دقائق غارت طائرة الميغ واختارت تلك النقطة بالذات التي تقف فيها الشاحنة فأحالتها ركاماً! من يمكن أن تحصل معه أحداث مماثلة خلال ساعات قليلة من حياته ويبقى على إيمانه بأن الدنيا ليست على أبواب القيامة؟!

من لايزال يحتفظ بشيء من القوة والتماسك، ينفجر في موجة غضب تجاه نفسه والآخرين. لأن أحداً لا يقوى على التخيل أن المئات من الشهداء كان بالإمكان إنقاذهم، لو توفر المزيد من الدواء، لو أن "الجهات المانحة" لم تتمنع عن المساعدة في تجهيز نقاط طبية خاصة بمصابي الكيماوي. حتى الأطباء غاضبون من أنفسهم، من اضطرارهم للاختيار بين مصاب وآخر حسب قرعة الحياة والموت في سوريا الثورة. كتب الطبيب ماجد على الفيسبوك: "بكيت وبكيت اليوم وانا استقبل تبرعات الأجواد والكرماء الذين لم يقتنعوا أن المشروع الذي قدمناه منذ أربع أشهر لتجهيز نقطة للتعامل مع إصابات الكيماوي هو ضرورة واليوم اقتنعوا بعد مئات الشهداء.. بكيت وأنا أوقع على موافقات بقبض هذه المبالغ التي دفعنا ثمناً لقبضها صور الشهداء".. المشكلة ليست هنا فقط، بل في قناعتنا واعتيادنا على أن كل شيء أصبح ممكناً، وأن السبيل الوحيد لمواجهته ولو نسبياً، هو في الاستعداد له، الاستعداد للقصف، الاستعداد للجوع، الاستعداد للكيماوي! هذا أقصى مايمكن أن نفعله. يعني أن تصبح المحادثة التالية مع أطفالنا قبل النوم من بديهيات حياتنا. ابني اغسل أسنانك واذهب إلى سريرك فقد تأخر الوقت. ولا تشرب الكثير من الماء قبل النوم! وإذا سمعت هدير الطائرة انزل إلى القبو، وإذا شممت رائحة غير طبيعية اصعد إلى السطح، وإذا لم تجد الوقت كيف تفعل أي شيء، فاعلم أني أحبك كثيراً، لكن ليس باليد حيلة. العالم قذر ومتوحش. ستفهم يوماً حين تكبر، إذا أتيح لك أن تكبر! تصبح على وطن يا بني.

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (70900)

دمشق: 5343
ريف دمشق: 16264
حمص: 10787
درعا: 6188
إدلب: 8151
حلب: 11453
دير الزور: 4434
الرقة: 858
السويداء: 48
حماة: 4956
اللاذقية: 850
طرطوس: 307
الحسكة: 501
القنيطرة: 350

5318 عدد الأطفال الذكور
2415 عدد الأطفال الإناث
4982 عدد الإناث
17303 عدد العسكريين
53597 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 24 / 8 / 2013
http://www.vdc-sy.info/

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر